**الهروب من سجن الرملة**

**رواية حقيقية**

**حمزة يونس**

**الفصل الأول**

**نقوش في الذاكرة**

**لا أتذكر تفاصيل طفولتي المبكرة ، لكن ثمة ملامح منقوشة في ذاكرتي ، فما تزال " المسقاة" وهي ناحية من نواحي قرية عارة حاضرة بوضوح رغم تراكم السنين المثقلة بالمشاهد والأحداث .**

**كانت المسقاة تمتاز بوفرة المياه المتدفقة من عينها المجاورة لدارنا وتتجمع في بركة عميقة لتنطلق من الجانب الآخر إلى المزارع والبساتين .**

**على بعد أمتار قليلة من تلك البركة وفي ظل أشجار التين، واللوز ، والمشمش والجوزيقع بيت إبراهيم مصطفى سلامة يونس .في ذلك البيت ولدت تعلمت السباحة وأتقنتها كإخوتي وسائر أطفال قريتي في مرحلة الزغب الأول .**

**أتذكر أنني كنت أمتاز عن إخوتي وأبناء عمومتي بالميل إلى الهدوء والنفور من العنف ، ورغم ذلك كان جدي مصطفى يلقبني بأبي ضرغام ، ويسميني " البطل" !**

**هل كان الحاج مصطفى يتوقع أو يتمنى أن أصير بطلا، أم أنه كان يعتبر الهدوء من علامات البطولة ؟ جدي أيضا كان يمتاز عن إخوانه أو عن بعضهم بعدم الميل إلى العنف .**

**كان هادئا ، وقورا يرعى الأشجار ويجود بالثمار ولا يميل إلى الشّجار .**

**الحياة في قريتنا كما هي في القرى المجاورة ، تسير في رتابة وبساطة : حرث ، فزراعة ، فحصاد.**

**ربما كانت الأعراس والمشاجرات القليلة تكسر الرتابة وتثري أحاديث القرية بشيء من الطرائف،لكن الجدية تظل السمة الأكثر بروزا في تقاسيم تلك الحياة.**

**ذات يوم حزين داهم الغراباء قريتنا ، أعلنوا حظر التجول ، وراحوا يفتشون البيوت وينهبون المواشي وما يحلو لهم .**

**تساءلت يومها – وكنت في السادسة من عمري- كيف سمح المختار لهؤلاء الغرباء بدخول القرية؟! كان المختار بدينا وجريئا ، فلماذا لم يتصد لهم ؟! كنت حينذاك لا أتصور أن هناك قوة يمكن أن تقف في وجه المختار!**

**قبل ذلك اليوم المخيف كنت أسمع عن هجمات يشنها اليهود على بعض القرى المجاورة كقرية (كفر القرع) ، وكان رجال قريتنا يهبون لنجدة تلك القرى وينجحون في صد الهجمات اليهودية .**

**لكن ماذا تعني كلمة (يهود) بالضبط؟ ما كنت أفهمه من سياق الحديث هو أن هناك مخلوقات مجهولة ومخيفة كالجن والغيلان .**

**وحتى لو كانت كذلك فالمختار ضخم الجثة، شديد اللهجة وهو فوق ذلك يحمل عصاة.**

**وحين شاهدت الغرباء فوجئت بأنهم يشبهون الناس تماما فليس لهم قرون ولا أنياب ولا مخالب ، لكنهم يحملون أنواعا من العصي بعضها طويل وبعضها متوسط في طول عصاة المختار .**

**ربما أدركت حينها أن ثمة فرقا يجعل تلك العصي مخيفة أكثر ، ولكن كيف لم يتمكن رجال قريتنا من التصدي لهؤلاء اليهود ما داموا رجالا مثلهم ، وما داموا –كما سمعت سابقا- قد طردوهم من كفر القرع؟ لم أجد إجابة على مثل هذه التساؤلات تحد من صمتي وخوفي ، ثم عرفت في وقت لاحق وبعد أن تركت التساؤلات الحائرة أثرها وفعلت فعلها في نفسي ، أن القرية سلمت تسليما وأن هناك من هو أعلى وأقوى من المختار .**

**تقع قريتناعارة ، وعرعرة ضمن منطقة المثلث العربي الشمالي ، وتشمل هذه المنطقة 22 قرية لم تسقط بالقتال،بل جرى تسليمها بموجب اتفاقية رودس، فصدرت الأوامر بانسحاب الجيش العراقي وجيش الإنقاذ منها .**

**وكانت مدرسة عرعرة مقرا لقيادة الجيش العراقي الذي درب ونظم رجال القريتين لمقاومة العصابات اليهودية .**

**وفجأة ودون مقدمات مفهومة ، جرى الانسحاب فدخل الغرباء دون قتال وعملوا على إذلال الأهالي ، فنصبوا أمام جامع عارة قوسا كبيرا يعلوه علم غريب وأمروا رجال القرية بالاصطفاف والمرور من تحت القوس ، وتمكن بعض الشبان والرجال من الاختباء هربا من المرور الإذعاني ، ولكن الذين أفلتوا منهم لم يجرؤوا على التباهي إلا همسا ولبعض الثقاة فقط !**

**شن حرس الحدود، وهم أكثر شراسة من الجيش، حملات تفتيش ونهب وتخريب بعد أن جمعوا رجال القرية وأمروهم بالجلوس على الأرض .**

**وبسبب ما رأيته وسمعته من ممارسات حرس الحدود ، شعرت لأول مرة بالخوف .**

**كيف يجلس الرجال على الأرض؟ وكيف يسمحون للغرباء باقتحام منازلهم ،أدركت أن مواسير الحديد، التي يحملونها ، هي سبب ذلك الإذعان الذي جعلني أشعر بالخوف ، وكم أزعجني هذا الشعور الجديد، فصرت أفكر في أن أتعلم شيئا ما للدفاع عن نفسي .**

**علمني كتاب القرية وتقاليد العائلة أن السرقة والقتل حرام، وأن احترام الكبير والعطف على الصغير واجب، لكن تصرفات هؤلاء الغرباء تخالف كل ما تعلمته ، هم إذن من نوع غريب يختلف عن الناس وإن كانوا مثلهم شكلا ؟ ليسوا من الجن ولكن ليسوا من الإنس أيضا! هم على الأقل ليسوا كأهل قريتنا .**

**إنهم يكرهون العرب ويطلقون على كلابهم أسماء عربية! وهؤلاء الذين يقال لهم حرس الحدود يقتلون لمجرد الرغبة في القتل ودون تمييز بين صغير وكبير فمن أية طينة هم ، ومن أية غابة جاءوا .**

**ها هي سياراتهم تأتي بالجثث المجهولة ، ويأمر أهالي قريتنا بدفنها بسرعة في مقبرة القرية ، بعد إغلاق مداخلها وحظر دخولها على أهالي الجوار.**

**كانوا يجردون القتلى من أي شيء يدل على أسمائهم أو أشخاصهم .**

**في ذلك الجو الرهيب تعلم أهلنا الصمت والتحفظ خوفا من عقوبات الحاكم العسكري الذي كان مخولا باتخاذ أي إجراء ضد الأهالي دون الرجوع إلى قيادته ، فكان من صلاحياته أن يسجن وأن ينفي ، و أن يصادر وينهب ويخرب.**

**في ذلك الجو كبرت وأنهيت دراستي الابتدائية ، والتحقت بمستعمرة (برقائيل) وهي أقرب (كيبوتس) إلى قريتنا ، حيث كان أولاد قريتنا يذهبون للعمل التطوعي يوم العطلة فيقومون بقطف الثمار ، وجمع الخضار ، ويذهب ريع ذلك اليوم لصندوق نادي القرية التابع لحزب (مابام) الاشتراكي اليساري .**

**وفي العطلة الصيفية كنا نذهب إلى كيبوتسات أخرى ونقيم فيها لمدة شهر ونصف ، وأغلب تلك المستعمرات تقع في منطقة الجليل .**

**بعد ذلك واصلت الدراسة في كيبوتس (هامعبيل) الذي بني على أنقاض قرية (كاكون) وهي قرية كنعانية مثل قريتي عارة وعرعرة.**

**وفي ذلك الكيبوتس التقيت بتلاميذ يهود فربطت بيننا زمالة الدراسة ، وصار لي منهم أصدقاء،وعلى الرغم من أنني كنت أعاملهم كأصدقاء فعلا وأحرص على صداقتهم ، فإنهم كانوا يتصرفون بشيء من التحفظ والعنصرية اتجاهنا نحن العرب .**

**وظهرت نظراتهم إلينا سافرة عندما ذهبوا للتدريب العسكري في (بير أورا) بمدينة إيلات على البحر الأحمر ، وكان النظام المتبع يقضي بتدريب أبناء الكيبوتسات في ذلك المعسكر عندما يبلغون السادسة عشرة ، تمهيدا لدخول التجنيد الرسمي بعد سنتين ، أي عندما يبلغون الثامنة عشرة .**

**عاد الزملاء من رحلة التدريب ، فجلسنا عربا ويهودا نتحدث عن رحلتهم ، وإذا ذكر أحدهم السلاح الذي تدرب عليه صاح به أكثر من واحد تذكر مع من تتحدث ؟**

**على أية حال كان أعضاء الكيبوتس يغلفون التمييز بغلاف من التعقل فلا يمارسونه علينا كما هو الحال في الشارع اليهودي ، حيث إذا اختلف عربي مع يهودي سرعان ما كان الأخير يصرخ قائلا : (عربي ، عربي،...)! وكان هذا بمثابة نداء لليهود وإشعار لهم بوجود شخص غير مرغوب فيه ، وسرعان ما يتجمع عليه اليهود من كل جهة ، ويوسعونه ركلا وضربا ؟ كانوا إذا سمعوا النداء المذكور ، تسابقوا إلى الفريسة ، وإذا سال دم عربي على أحدهم ، يكون الحق عليه عند الشرطة ، لأنه وسخ ثياب اليهودي بدمه !**

**فرض عليّ هذا الواقع أن أتعلم الملاكمة لأدافع عن نفسي ، ولا أكون فريسة سهلة تمارس عليها المزاجيات العدوانية المتعصبة ، فنجحت في الملاكمة بسرعة ، وبعد سنة واحدة من التدريب المتواصل حصلت على بطولة الدولة للناشئين في مباريات نظمت في بئر السبع عام 1962 .**

**وبعد سنة أخرى أصبحت أفضل الملاكمين ، وفي سنة 1963 حصلت على بطولة الدولة للملاكمة في وزن خفيف الوسط (63,5)كغ .**

**نظمت مباريات البطولة في (باطيم) وكذلك حصلت على بطولة (بيطار) في مباريات طبرية، وانضممت بعدها إلى نادي (بيطار) وصرت أتدرب فيه، كما صرت أتدرب في (بيت زئيف)و(مسدات زئيف) ، وهما مكانان كانا مخصصين قبل عام 1948 لتدريب أعضاء حزب (حيروت) على قتل العرب .**

**ما عرفته عن ماضي هذين الموقعين لم يؤثر في نفسي، ولا جعلني أشعر بالعداء تجاه ذلك الحزب، لأنني اعتبرت ذلك مجرد فعل ماض، بدليل أنني أتدرب في نوادي تابعة لحزب حيروت لهدف مختلف تماما، وأدرك الآن جيدا أن الذين كانوا يدربونني أو كان بعضهم على الأقل لا يرى بأسا في أن أصير بطلا لامعا ، ما داموا سينسبونني في هذه الحالة إلى (إسرائيل) ويكون ذلك لفائدتها دعائيا .**

**والحقيقية أن وصفي بأنني بطل إسرائيل في الملاكمة لم يكن يزعجني آنذاك،على الرغم من تعرضي لعدة مواقف سابقة ، تشعرني بأنني كعربي ، لست مقبولا كمواطن كامل الحقوق في هذه الدولة ، وتعمق هذا الشعور لدي عندما لاحظت قلة اهتمام الصحافة بي ، واتّصاف الصحفيين والحكام تجاهي بعدم الإنصاف ، وإن كانت مبارياتي توصف أحيانا بأنها من أجمل المباريات .**

**لا شك أن هضم حقوقي وعدم إنصافي من طرف الصحافة وأعضاء التحكيم كان يضايقني كثيرا ، لكن ما كان يضايقني أكثر هو أن الجمهور الذي يحضر مبارياتي لم يكن يكتفي بجولة اللعب ، وبالفوز، بل كان يصيح أثناء الجولات (دم ، دم ) أي يريدون أن تسيل الدماء !**

**كنت أجد عزائي في مدربي يعقوب فوفتش وهو يهودي روماني يكره التعصب والتفرقة العنصرية ، وكنت أحس بتعاطفه معي وبأنه متضايق من أجلي في كثير من الأحيان .**

**تأكد ذلك بشكل واضح عندما تقرر سفر منتخب بيطار إلى اليونان، وكان الطبيعي أن أكون ضمن المنتخب ، بل في مقدمته ما دمت البطل الأول في وزني .**

**وقبل الذهاب إلى التدريب في معهد (فنكت) ، تقرر أن تجري تصفيات لاختيار المرشحين للسفر ، واعتبرت أن من حسن حظي أن تجري هذه التصفيات في (ناتانيا) ، حيث جرت في ملعب كرة القدم (مكابي ناتانيا) .**

**وكان وصل إلى إسرائيل ملاكم جديد يدعى نسيم أشرف، وهو يهودي مغربي، احترف الملاكمة في فرنسا، وعند قدومه لعب عدة مباريات فاز فيها جميعا بسهولة ، وبالضربة القاضية.**

**وحسب الأنظمة والأصول المتبعة في الملاكمة ، كان كل منا يعرف مع من سيتقابل من ملاكمي وزنه، لأن لكل وزن نجومه وأبطاله .**

**وبينما كنا في غرفة الملابس ، تقدم مني ملاكم من نادي (بيطار ناتانيا) وهمس في أذني :**

**لا يريدون أن تسافر مع المنتخب !**

**فضحكت وقلت له :**

**أتوقع ذلك!**

**وكنت أتوقع أيضا أن يلجأوا إلى أساليب ملتوية ، ولكنني سألت ذلك الملاكم :**

**كيف عرفت ذلك ؟**

**فقال: إنهم يريدون أن تلعب مع نسيم أشرف لتخرج من بداية التصفيات!**

**فرددت عليه قائلا: سبق أن طلبت منازلة نسيم أشرف عندما كنا نلتقي مع بيطار تل أبيب حيث يلعب نسيم ، لكن الإداريين رفضوا لاختلاف الوزنيين ، فوزنه أثقل من وزني .**

**فقال: لكن الأمر الآن يبدو مختلفا لتعلقه بتصفيات السفر !**

**بعد هذا الحوار غادرت غرفة الملابس، وتوجهت إلى غرفة الإداريين وعندما اقتربت منها ، سمعت مدربي يعقوب يصرخ قائلا: ( فقط لأنه عربي؟!).**

**وحين دخلت ، صمت المدربون والإداريون ، فنظرت إلى مدربي وقلت له :**

**أريد أن ألعب مع نسيم أشرف!**

**رد المدرب عليّ صارخا :**

**أنا أعرف أنك ترغب في ذلك وهذا غير مقبول موضوعيا، لكن هؤلاء يريدونك أن تلعب مع نسيم لينتصر عليك فتخرج من بداية التصفيات .**

**فقلت: ومع ذلك أنا موافق !**

**أمسك المدرب يدي برفق وقال :**

**نسيم من الأبطال المحترفين ويستطيع أن يلعب 15 جولة .**

**فقلت: أعرف هذا ، وقد شاهدته، وشاهدت انتصاراته، أرجوك أن توافق على طلبي وطلبهم ؟**

**فأجابني قائلا: ولكنك لست من وزنه...**

**فقلت: أعرف هذا أيضا ، دعنا نختبر قوتنا .**

**هز المدرب رأسه موافقا على مضض، فتقابلت مع نسيم أشرف على الحلبة وبدأت المباراة.**

**أثناء اللعب كنت أرى مدربي يبتسم ، وخلال الاستراحة قال لي : (استمر هكذا).**

**وعندما انتهت الجولة الثالثة ، قفز مدربي إلى وسط الحلبة وراح يرقص فرحا ! لكنه توقف عن الرقص عندما فوجئ بالمذيع يعلن فوز نسيم ، فيقوم حكم الحلبة برفع يده!**

**وعلى الرغم من أن الجمهور كان من اليهود ، فقد علا صراخه محتجا على الانحياز المكشوف، وسمعتهم يرددون بالعبرية عبارة : (لدفوك أت هشخوريم).**

**وهي عبارة مناهضة للسود، تقال ضد العرب ، وتعمد الجمهور ترديدها لإشعار الحكم لأنه منحاز ، وأن النتيجة غير موضوعية! كان كبير الحكام (جاك ليفي) وهو المشرف على المرشحين للسفر ، قد قرر أنني المنتصر، ولكن الحكمين الآخرين خالفاه وقررا فوز نسيم .**

**سادت القاعة حالة من الفوضى الاحتجاجية،وبعد مشاورة سريعة جرت بين المدربين والإداريين أعلن المذيع أن اللاعبين كليهما سيسافران إلى اليونان .**

**هدأت القاعة قليلا بعد هذا الإعلان وتقرر فعلا أن نسافر معا وأن يلعب كل منا في وزنه .**

**وبقي نسيم من أصدقائي اليهود القلائل ، وأرسل لي سلاما بعد أن هربت من إسرائيل وانضممت إلى حركة فتح .**

**على بعد عشرة كيلومترات من مدينة ناتانيا، يقع كيبوتس (هاعوجن) الذي التحقت به لمواصلة التدريب ، ونظرا لبعد المسافة بين المدينة والكيبوتس ، فقد كنت أتأخر عن مواعيد التدريب أحيانا ، كما كنت أتحمل نفقات إضافية كأجرة للمواصلات .**

**ليس من السهل أن أجد مدربا مثل يعقوب فوفتش الذي كان مع بعض أصدقائي يخفف عليّ وطأة الشعور بالاضطهاد والقهر والظلم .**

**مسؤول الملاكمة في مدينة ناتانيا ومسؤول المنقذين يدعى شلومو وهو من حزب (ماباي) وكذلك رئيس البلدية .**

**اقترح شلومو عليّ خلال تدربي في نادي العمال ، أن أعمل مع ملاكم آخر كمنقذين على شاطئ ناتانيا الذي كان يعمل فيه عدد من المنقذين اليهود .**

**وافقت على الاقتراح وعملت منقذا حتى نهاية صيف 1962 م ، ووظيفة المنقذ في إسرائيل من الوظائف المحترمة التي لها امتيازات مادية ومعنوية ، حيث يحظى المنقذون بتقدير ملموس ويتقاضون رواتبهم حتى في فصل الشتاء.**

**لم يكن زميلي الملاكم الذي عمل معي كمنقذ يجيد السباحة ، لذلك لم يبدو متحمسا للعمل ، أما أنا فقد عملت برغبة وحماس ، لأن مهاراتي في السباحة لم تكن أقل من مهارتي في الملاكمة ، وقد تدربت سريعا على استعمال حسكة الإنقاذ ومارست العمل بجد وإخلاص .**

**في 15/09/1962 ، نظمت مسابقة في السباحة الطويلة لقطع عرض بحيرة طبريا البالغ 4,5 كيلومتر ، وعلى الرغم من أنه لم يسبق لي أن شاركت في مسابقات المسافات الطويلة ، فقد حصلت على الرتبة الرابعة من بين خمسمائة متسابق .**

**بعد ذلك تلقيت دورة تدريب على الإنقاذ والإسعافات الأولية في تل أبيب ، وعند بداية الموسم الصيفي حاولت مواصلة العمل كمنقذ ، لكنني فوجئت باعتراض المنقذين اليهود الذين هددوا بالإضراب عن العمل إذا انضم إليهم أي عربي !**

**تلقيت هذه الصدمة بكثير من الدهشة ، وتساءلت ، كيف وافق هؤلاء على عملي معهم في الصيف الماضي ولم أكن تدربت على الإنقاذ رسميا ، ولا شاركت في السباحة الطويلة ؟ وكيف يعارضون عملي معهم اليوم وقد صرت من السباحين المعروفين ، وحصلت على مؤهل للعمل كمنقذ !**

**رد شلومو على تساءلاتي هذه قائلا بصراحة : لم يكونوا يعرفون أنك عربي !**

**توقفت عن العمل مدة أسبوعين ، ثم رحت أهدد بترك ناتانيا ، والانضمام إلى أي نادي آخر ، وقد قصدت بذلك أن أضغط على النادي ليضغط بدوره على أولئك المنقذين العنصريين .**

**نجحت خطتي ، حيث جرى التوصل إلى حل وسط ، يقضي بأن أعمل منفردا على برج مستقل ، والتحقت بعملي على الشاطئ (عينت خيلت) في ناتانيا .**

**تعرضت خلال عملي على هذا الشاطئ إلى العديد من التحرشات ومحاولات الاصطياد من طرف نساء يهوديات وسائحات أجنبيات كن يستعرضن أجسامهن على الشواطئ، قبل أن يدخلن الماء ويقمن بحركات لافتة للنظر.**

**ولم أكن أكترث بالاستعراضات ولا بالحركات ، الأمر الذي جعل بعضهن يتوغلن في البحر ، ويتظاهرن بالغرق، فأذهب لأنقذهن ، ثم أكتشف اللعبة !**

**كان بعضهن يعرضن أنفسهن عليّ بوقاحة تخدش حيائي كرجل عربي ، وكنّ يستغربن منّي هذا الحياء غير المألوف لديهن ، لأنهنّ في الغالب يعتقدن أنني كالآخرين، وكانت عبارات الغزل والتحرشات من الأمور العادية على الشواطئ وفي الشوارع والأماكن العامة .**

**و أعتقد أن ما رأيته وتعرضت له من محاولات رخيصة ووقحة ، سبب نفوري من الجنس الآخر وانعدام ثقتي فيه ، بل وكراهيتي له أحيانا ، فأنا لم أشاهد واحدة متزوجة أو غير متزوجة رفضت طلب المنقذ .**

**كنا سافرنا في الشهر العاشر من العام 1963 م إلى اليونان، وعلى الرغم من أن بعض المسؤولين المرافقين كانوا من ذوي الحصانة الدبلوماسية ، فقد قابلنا اليونانيون بكثير من الاحتقار ، ولم يكترثوا باحتجاج الفريق الإسرائيلي .**

**وفي محالولة لتعويض تجاهلنا واحتقارنا في اليونان ، قرر اتحاد الملاكمة أن نستعد للسفر إلى تركيا لمقابلة الفريق التركي .**

**عدنا إلى إسرائيل وبدأنا نتدرب في (مسدات زئيف) بتل**

**أبيب، وقبل دخولنا المعسكر ، فضلت أن أسكن مع شقيقي الأكبر محمد وعدد من أصدقائه الذين كانوا يعملون في المدينة .**

**وذات يوم زارني صديقي الحميم ، ابن عمي مكرم يونس ، وذهبنا في المساء إلى نوادي الرقص على عادة الشباب هناك .**

**تنقلنا من ناد إلى آخر وقوبلنا بالترحيب ، لأنني كنت معروفا في هذه النوادي ولا سيما من طرف الرياضيين والمهتمين بالرياضة من شبان تل أبيب .**

**كان الرياضيون يترددون على هذه النوادي فيأكلون ويشربون دون أن يدفعوا شيئا، فقد كان مطلوبا منهم فقط أن يحافظوا على الهدوء ، وأن يردعوا أو يطردوا أي مشاغب ، وكان مكرم ميّالا إلى المشاغبة والاستفزاز ، وكذلك بعض الأصدقاء المرافقين له في تلك الجولة ، ولم أكن أشاركهم في الاستفزازات ولا كنت راضيا عن تصرفاتهم ، لكنهم يعرفون جيدا أنه في حالة اشتباكهم مع بعض الرواد ، فلا أستطيع إلا الاشتراك معهم ، وربما كان هذا من حوافز الرغبة في الغزل والتحرش والاستفزاز ، خصوصا لدى ابن عمي مكرم الذي ربطتني به فضلا على صلة القربى والجوار طفولة مشتركة في المسقاة ، فهو في عمر مثل عمري تماما ، لكنه أطول مني قليلا ، ومن حسن الحظ أن جولتنا مرت بسلام .**

**ركبت وراء مكرم الدراجة النارية واتجهنا إلى البيت ، وفي الطريق مررنا بمحطة بنزين فوقفنا فيها لتزويد الدراجة بالوقود .**

**صادفنا فتاة تقف إلى جانب سيارتها ، فراح مكرم يغازلها بالعبرية ، وهذا أمر عادي ومألوف ، ولم تنزعج الفتاة ربما لأنها لم تعرف أن الذي يغازلها عربي ، فهو ذو بشرة بيضاء ويتكلم العبرية بطلاقة ، لكن عامل المحطة سمعنا نتحاور بالعربية ، فعرف هويتنا ، وعندئذ بدت على وحهه علامات الضيق وراح يستفزنا ، ويبدوا أن زملاءه الثلاثة سمعوا صوته فجاؤوا إليه .**

**كان أحدهم مغربيا ، والثاني يمنيا ، والثالث أشكنازيا، وبمجرد أن وصلوا راح العامل المغربي يصرخ ، فسأله الأشكنازي عن سبب صراخه ، فقال : هؤلاء العرب لا يريدون أن يدفعوا ثمن البنزين !**

**لم تكن التهمة التي لفقها لنا أكثر استفزازا لزملائه من كلمة (عرب) ! كانت هذه الكلمة وحدها كافية لتصعيد الموقف وتحريض الآخرين علينا .**

**قلت لهم بصوت هادئ – و غالبا ما يكون صوتي هادئا :**

**صاحبكم مخطئ وإن كنتم تريدون المشاجرة فستخسرون! لم أكد أتم عبارتي حتى هجموا علينا وهم يصيحون (عربي ، عربي) فانضم إليهم عدد من هواة ضرب العرب الموجودين في المحطة .**

**قلت لمكرم : يبدو أنه لا بد مما ليس منه بد، لكن ليكن ضربنا خفيفا، تقدم مني اليمني والأشكنازي فضربتهما بكفي ورجلي ، ولمحت أن المغربي قد ضرب ابن عمي برأسه ، وهم بأن يضربه ثانية ، فقفزت إليه وضربته لكمة أسقطته على الأرض دون حراك ، وعندئذ شعرنا بخطورة الموقف فركب مكرم الدراجة بينما ظللت أناوش الآخرين حتى لا يتمكنوا من أخذ رقم الدراجة، وبعد أن ابتعد مكرم عن المحطة تبعته بسرعة ولذنا بالفرار .**

**في اليوم التالي نشرت الصحف : (مجهولان يعتديان على عامل محطة وقود يدعى فكتور ، حاول مساعدة سيدة كانت تقف في المحطة وقد تم نقل عامل المحطة إلى المستشفى واتضح أنه أصيب بارتجاج في المخ وحالته صعبة ).**

**قال مكرم بعد قراءة الخبر : يبدو أنهم عرفونا ، وأنت مكروه في إسرائيل،وسيغتنم رجال الشرطة هذه الفرصة لزجك في السجن ! ودون نقاش ، قررنا أن نهرب إلى غزة ، ونفذنا قرارنا في 29/03/1964 .**

**الفصل الثاني**

**الهروب الأول**

**ركبنا الحافلة إلى عسقلان ، وفي المحطة اشتريت خارطة صغيرة لمعرفة الاتجاه.**

**قضينا بعض الوقت في عسقلان لأننا تعرفنا على فتاتين يهوديتين هناك لتمضية الوقت وإبعاد الشبهة ، لأن هذه المدينة ضمن المناطق المحظورة على العرب .**

**ولكي نتخلص منهما ،ادعينا أننا مرتبطان بموعد مع بعض الأصدقاء، وعند الغروب دخلنا المناطق الزراعية (البيارات) .**

**تأملت الخارطة فعرفت أن غزة على يميننا ولا يفصلنا عنها سوى كيلومتر واحد .**

**سرنا بين المزارع، هبط الظلام فلم نعد نميز الأشياء، فرحنا نتفحص أوراق الأشجار لنعرف ما إذا دخلنا المنطقة العربية أم لا ، وعرفنا من بعض الأشجار، ومن طريقة الري أننا في منطقة غزة فخرجنا إلى الشارع .**

**صادفنا نقطة لقوات الطوارئ الدولية ، سألنا أحد أفرادها عمن نكون ، فزعمنا أننا من غزة ، وبعد أن تجاوزنا النقطة رحنا نغني في فرح ( أنت عمري اللي ابتدا بنورك صباحو) ! رأينا شابا فسألناه عن أقرب مركز للشرطة فأرشدنا إليه .**

**قابلنا في المركز بعض رجال المخابرات المصرية ، فوجئنا بهم بعد سماع قصة هربنا ، يأمروننا بالعودة من حيث أتينا ! كنت أتصور أنني معروف إلى حد ما لدى المخابرات المصرية والعربية عموما ، وأن معلوماتهم عني كرياضي على الأقل ، تكفي لمقابلتنا باهتمام وتفهم لسبب هربنا .**

**كان لديهم بعض المعلومات عني وعن مشاكلي مع الشرطة ، لكنهم بالرغم من ذلك استقبلونا بفتور ، وقرروا أن نعود أدراجنا دون أن يرشدونا إلى الطريق الآمنة للعودة !تركونا نسلك طريقا وعرا قد لا يكون خاليا من حقول الألغام .**

**وأدت عودتنا العشوائية إلى القبض علينا ، حيث ركبنا حافلة متجهة من بئر السبع إلى عسقلان ، وهذه المنطقة من المناطق المحظورة على العرب.**

**وكان تواجدنا فيها كافيا لإلقاء القبض علينا ، مرت في الطريق دورية لحرس الحدود فأوقفت الحافلة ولدى تفتيشها ، قاموا بإلقاء القبض علينا ووضعونا في سجن عسقلان في 01/04/1964 .**

**بعد ثلاثة أيام حضر محام موكل من طرف أهلنا بالدفاع عنا ، قابلناه في حضور الشرطة فقال : لا أستطيع الدفاع عنكم إلا بعد انتهاء التحقيق، فطلبت منه أن لا يعود و أن يخبر أهلنا بأنه لا ضرورة لحضورهم .**

**عدنا إلى غرفتنا في السجن فسألني مكرم :**

**لماذا تصرفت هكذا مع المحامي؟!**

**فأجبته قائلا: لأن المحامي لن يفيدنا ما دامت التهمة الموجهة إلينا كافية لحبسنا سنوات وربما سنين طويلة ، وكانت تلك التهم كما عرفناها من المحامي ومن المحقق أيضا هي ما يلي :**

**1 – مغادرة البلاد والعودة إليها دون تصريح .**

**2 – الاتصال مع العدو .**

**3 – تزويد العدو بمعلومات تضر بأمن الدولة .**

**4 – خيانة الدولة .**

**5 – إخفاء معلومات عن رجال الأمن .**

**6 – الإصرار على الاتصال بالعدو .**

**بعد سرد التهم الست دون إضافة تهمة الاعتداء على عامل المحطة الذي لا نعرف مصيره ، قلت لمكرم : ليس لدي استعداد للبقاء في السجن شهرا واحدا ،أضف إلى ذلك احتمال موت العامل المضروب ، كما أن موقف الشرطة من المحامي دفعني**

**إلى التفكير الفوري في الهرب مهما كانت النتائج والاحتمالات !**

**كنا خمسة عشر سجينا في جناح الموقوفين ، خمسة من العرب والباقي من اليهود وكان بين العرب الخمسة شاب اسمه حافظ مصالحة ، متهم بالعمل مع المخابرات المصرية ، وقلنا للسجناء اليهود أن تهمنا بسيطة لتبقى علاقتعهم بنا حسنة ، لأن بعضهم تعرف عليّ وأبدى إعجابه بي كبطل في الملاكمة .**

**يتكون جناح الموقوفين من غرفتين للمساجين يتوسطهما حمام يقابل الباب الرئيسي.**

**جلست إلى جانب مكرم ، ورحنا نفكر في طريقة للهرب .**

**كان الحراس يعدون المساجين ثلاث مرات في اليوم ، مرة في الصباح ، ومرة عند الظهر ، ومرة عند الثامنة ليلا حيث تجري عملية الاستلام والتسليم ، ولا يفتح الباب بعد الثامنة ليلا إلا في حالات الضرورة وبحضور قوة إضافية .**

**لكن المشكلة الكبرى التي تعترض فكرة الهرب تتعلق بفتح الباب الحديدي الرئيسي، وهو يفتح من الخارج ويغلق بإحكام.**

**توجد في أعلى الباب نافذة صغيرة ويتواجد أمامه باستمرار بعض الحراس، أما أبواب النظارة فكانت زجاجية تكشف السجن كله ، وحول السجن شريط شائك، فيه باب واحد يقف عنده حارس مسلح باستمرار .**

**مدة التوقيف حسب القانون الإسرائيلي خمسة عشر يوما قابلة للتجديد حتى صدور الحكم .**

**قدمنا للمحكمة في 15/04/1964 وتقرر تمديد التوقيف ، كان ذلك يوم خميس. وعندما أعادونا إلى السجن رحنا نغني ( كلها يومين على فراق الحبايب) !**

**سألنا الموقوفون لماذا نحن فرحون فقلنا لهم ببساطة سنخرج من هنا! أخبرنا حافظ مصالحة بأننا قررنا الهرب يوم السبت ، وأخبرناه ظهر يوم السبت بالخطة : سوف نهرب هذا المساء بعد غروب الشمس .**

**هذا الهروب يمثل أول مغامرة بالنسبة إليّ؛ لذلك كنت إذا خلوت إلى نفسي بعد حديث مريح مع مكرم وحافظ ، أجد عشرات الأسئلة تتزاحم في ذهني : هل أستطيع أن أنتصر على (إسرائيل) منفردا؟ لست مسلحا ولا حتى مدربا على السلاح، فهل يمكن أن أحرز نصرا على ترسانة السلاح والطائرات ودولة الجيش والشرطة والأمن وكلاب الأثر؟**

**ولكي لا يدخلني الإحباط أمام مثل هذا التساؤلات ،واجهتها بتساؤلات مضادة : وماذا أفعل إذن؟ هل أتراجع وأستسلم لأقبع في السجن مدة مجهولة؟ ما الفرق بين السجن وبين القبر؟ ماذا سيقول عني هؤلاء المساجين بعد أن أعلنت قراري وحددت موعد تنفيذه؟ هنا بين المساجين اليهود من أبدى إعجابه بي كبطل، فماذا سيقول إذا جبنت وتراجعت؟ صحيح أن الخوف هو الذي دفعني إلى ما وصلت إليه في الملاكمة، لكن هذا الدافع لا يمكنه أن يتعايش مع البطولة في سياق واحد ؛فهما ضدان لا يجتمعان في موقف ولا معادلة .**

**كان حديثي مع مكرم وحافظ يبعد عني الهواجس والتساؤلات.**

**نظرت إلى مكرم فوجدته نائما وكذلك حافظ ، فحاولت أن أنام لكن دون جدوى، ورحت أتردد على الحمام بسبب ودون سبب .**

**جرت العادة أن تقدم وجبة العشاء عند الغروب،أي نحو الساعة السابعة.**

**دق العسكري الباب بقوة وصاح : (العشاء ، العشاء) فاستيقظ الموقوفون وذهبوا لأخذ عشائهم .**

**أخذت وعائي وذهبت معهم ، لكن دون أدنى رغبة في الأكل ،وقد لاحظ ذلك كل من مكرم وحافظ فضحكا وهما يأكلان، وطلبا مني أن آكل لأن أمامنا مهمة صعبة تحتاج إلى طاقة .**

**بعد أن فرغ الجميع من العشاء أخبرت سائر الموقوفين العرب بأننا نعتزم الهرب،ثم أخبرت المساجين اليهود طالبا منهم كتمان السر عن المساجين العرب، وكان قصدي من ذلك عدم تعريض العرب للعقاب عندما يجري التحقيق ،أما قصدي من إعلام اليهود فهو أن أحفزهم على الاشتراك معنا في ضرب الحراس إذا اقتضى الموقف ذلك ، وزعمت لهم بأننا نملك جوازات سفر مزورة وأن هناك سيارة تنتظرنا في الخارج وأننا سنسافر إلى أوروبا .**

**بوحي بالسر للجميع جعلني متوترا أكثر ، فصرت أراقب تحركات كل الموقوفين خصوصا إذا اقترب أحدهم من الباب ، كما صرت أتحدث بعصبية مع مكرم وحافظ ثم أمسكت يد مكرم وأقسمت أنني سأكون غدا إما في غزة وإما في المستشفى، وإما في العالم الآخر،ولا يمكن أن أقضي هذه الليلة في السجن .**

**شعرت بالراحة بعد هذا القسم، فقد أعلنت القرار وأكدته ، ولم يعد لدي مجال للتراجع أو التردد .**

**اقتربت الساعة من السابعة والنصف،فبدأ تنفيذ الخطة ، وخلاصة تلك الخطة أن نستدرج الحراس إلى فتح الباب ونكمن لهم خلفه لنقوم بمباغتتهم بالضرب ونفر بأقصى سرعة إلى الخارج مرورا بالباب الخارجي .**

**طلبت من سجين يهودي هو أصغر المساجين سنا ، يدعى (شلومو) وهو في الخامسة عشر من العمر أن يدق الباب وأن يقول للحارس أن المساجين العرب أخذوا فراشه،وفي الوقت نفسه رحنا نفتعل مع سائر المساجين ضجيجا يوهم بالعراك، فعل شلومو ما طلبته منه،وحين نظر الحارس من طاقة الباب ، طلب من الفتى السجين أن ينتظر قليلا حتى يستدعي زملاءه لفتح الباب.**

**كانت تقاليد فتح الباب تقضي بوجود قوة لا تقل عن ثلاثة حراس ليدخل اثنان منهما فقط ، ويبقى الثالث الذي يكون مسلحا خارج الباب للحراسة .**

**استدعى الحارس زملاءه،وفي هذه اللحظة وحسب الخطة ،دخل مكرم وحافظ مصالحة إلى الحمام المقابل للباب الحديدي،بينما كمنت أنا خلف الباب مباشرة وتحت النافذة بحيث لا يستطيع الحارس أن يراني عند فتحها ،انتظرت في موقعي وشعرت بأن الوقت يمر في بطء شديد فضربت الباب برجلي،فصاح الحارس! لحظة ، نحن قادمون ، لا تطرقوا الباب .**

**سمعت وقع أقدام تتجه نحونا ، ثم فتح الباب بالمفتاح، وبعد ذلك فتح القفل.**

**عندما سمعت فتح القفل وقفت ودفعت الباب بقوة ، ولأن الباب من حديد فقد توقعت أن يسقط كل من يقف خلفه ، لكني فوجئت به ينفتح بسهولة وأسقطني الاندفاع في حضن الشاويش، ولحسن الحظ أنه كان كهلا قصيرا أصلع .**

**في هذه اللحظة ظهر مكرم من ورائي وضرب الشاويش الأصلع على رأسه فأسقطه على الأرض ،بينما قمت بضرب العسكري الذي يحمل السلاح فسقط على الأرض كذلك،ثم ضربت العسكري الثالث .**

**كان هذا العراك يجري أمام الحراس الجالسين في النظارة،وعندما صاح الحارس:(شرطة،شرطة) انطلقت صفارات الإنذار،فاتجه الحراس نحونا يحملون مسدساتهم فقط، فاشتبكنا معهم بالأيدي ، وحسب تعليمات الخطة كنا نتفادى التماسك معهم لنختصر الوقت مدركين أن سلاحنا الوحيد هو عنصر المباغتة واختصار الوقت ومغادرة السجن قبل أن يفيقوا من ذهولهم ويجتمعوا حولنا .**

**استعملنا في الاشتباك الكراسي وكل الأشياء الموجودة في النظارة ، ونظرا لجرح اثنين من الحراس ، وارتفاع صراخهما ، ونزيف دمائهما ، فقد ساد المكان جو من الذعر والفوضى ، وانتقلت المعركة إلى ساحة السجن حيث جاء بعض الحراس بالبيجامات .**

**انطلق مكرم إلى الباب الخارجي للسجن وكان أمامه رجل مسلح، وعندما رأى مكرم متجها إليه حاول إطلاق النار من رشاشه ، وكنت أجري خلف مكرم فصرخت في الحارس فابتعد،فانطلقت مسرعا خلف مكرم، فتناول حجرا ليقذفني به معتقدا أنني من الحراس ، فصرخت به وقلت : حمزة ، حمزة .**

**عندما صرنا على بعد مائة متر من مبنى السجن بدأ إطلاق النار بشكل كثيف وعشوائي ، لكننا واصلنا الجري نحو البيارة التي تقع على بعد مائتي متر من ذلك المبنى الكريه ، وكان حافظ قد سبقنا إلى البيارة فناديناه وانطلقنا ثلاثتنا في اتجاه غزة.**

**قررنا أن نسلك طريقا وعرة تجعل ملاحقتنا بالسيارة صعبة ، بل مستحيلة .**

**كنا نعرف أنهم سيلاحقوننا بالجيش وحرس الحدود والشرطة مع كلاب الأثر ، لذلك تعمدنا أن نسير قرب البحر لندخل فيه إذا تمكنوا من اللحاق بنا ، ذلك لأن ملاحقتنا بقوة بحرية يتطلب منهم وقتا طويلا.**

**مكرم يجيد السباحة مثلي ، وكان اشترك في قطع بحيرة طبريا عام 1962 م ، وواصلنا السير بسرعة ولم نصادف ما توقعناه من مطاردات ومفاجآت .**

**بعد أربع ساعات من الهروب وصلنا غزة في منتصف الليل .**

**على مشارف غزة،و قريبا من الحدود توجد نقطة للفدائيين ، ذهبنا إليها فاستقبلنا الفدائيون ثم نقلونا إلى بيت في غزة تابع للمخابرات المصرية ، مكثنا في هذا البيت 45 يوما دون أن نغادره .**

**عقد الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) جلسة لبحث هروبنا ومساءلة الحكومة كيف تمكن ثلاثة مساجين أمنيين عزل من الهرب أمام أعين الحراس المسلحين؟! وكيف قطعوا مسافة 24 كيلومترا دون أن يلقى القبض عليهم؟! إثر ذلك جرى التحقيق مع العاملين في سجن عسقلان،وأسفر عن طرد مدير السجن ونائبه وأربعة من الحراس، وحسب المعلومات التي وصلت إلينا من الصحف الإسرائيلية ، فقد نقل ستة من الحراس إلى المستشفى بسبب الجروح والكسور التي أصيبوا بها خلال الاشتباك معنا.**

**هذا الخبر نشرته الصحافة الإسرائيلية نقلا عن أجهزة الأمن .**

**كتبت جريدة معاريف في اليوم التالي لهروبنا ؛ أي في 18/04/1964 :(هرب ثلاثة مساجين أمنيين من سجن عسقلان، وقام رجال الجيش وحرس الحدود بمطاردتهم مع 152 شرطيا معهم كلاب الأثر)، ونشرت الجريدة إلى جانب هذا الخبر رسما كاريكاتيريا يبين أن الكلاب عادت خائبة وأن الهاربين وصلوا سالمين.**

**أما جريدة يديعوت أحرينوت فقد كتبت عن عراكنا مع حراس السجن وكيف أن ثلاثة مساجين عزل تمكنوا من جرح ستة حراس مسلحين نقلوا إلى المستشفى ، ونشرت الصحيفة إلى جانب الخبر رسما كاريكاتيريا ، يظهر مدير السجن وهو برتبة مقدم ساقطا على الأرض، وأن عربيا يمر من فوقه قائلا له : ( عن إذنك .. أنا ذاهب إلى غزة ) !**

**وبعد مدة تناولت موضوع هروبنا جريدة هاآرتس بمقال عرفنا منه أن المساجين الذين كنا معهم في نظارة التوقيف، عوقبوا بزيادة ستة أشهر سجنا إلى عقوباتهم الأساسية بتهمة التستر على هروبنا .**

**وعلى الرغم من أن المخابرات المصرية تابعت كل ما نشر عن هروبنا ، فقد ظلت تشك في صدقنا وتحتمل أن يكون هروبنا مجرد سيناريو دبرته المخابرات الإسرائيلية !**

**لذلك مكثنا شهرا ونصف الشهر في تلك الفيلا تحت التحفظ، كما أن معاملة ضباط المخابرات لنا ظلت لمدة غير قصيرة تتصف بالشك والصلافة وقلة الاحترام .**

**وقد انزعجنا وتأسفنا كثيرا لهذه المعاملة ؛ لأننا كنا نكن للزعيم عبر الناصر حبا وتقديرا غير محدودين ، إلا أنني بعد ذلك أدركت أن تصرف المخابرات المصرية تجاهنا وشكهم في هروبنا يجب أن يتفهما جيدا بل يجب أن يقدرا أيضا !**

**الفصل الثالث**

**حياتي في غزة**

**غزة ، أول مدينة عربية فلسطينية أزورها خارج ظل الاحتلال.**

**لاحظت خلال مدة قصيرة أن دخل الفرد فيها أقل بكثير مما هو في إسرائيل ، وأنها مختلفة نسبيا في كافة المجالات الحيوية ، ولا سيما مجال الري والزراعة، حيث لاحظت أن هذا المجال ما زال تقليديا في حين أن تقدمه هناك من أكثر ما يشد الانتباه.**

**ومرد ذلك إلى أن إسرائيل تتابع تطور التقنيات الزراعية في العالم وتنقل ما تراه مناسبا ، ولا شك أن المسؤولين في الدول العربية كانوا يتابعون التطورات كغيرهم ، لكنهم لم يستفيدوا منها بالدرجة نفسها لأن مواقع المسؤولية – كما عرفت لاحقا – تخضع لاعتبارات غير موضوعية ، بينما لا تخضع إسرائيل إلا للكفاءة والمثابرة .**

**ثمة حقائق عدة صدمتني ، غير أن أكثرها مرارة يتعلق بنظرة بعض المصريين والعرب عموما إلى الفلسطينيين ، وخاصة من بقي منهم في فلسطين المحتلة ؛فقد لمست أن أصابع الاتهام بالعمالة تشير إليهم ، كما لمست أن عموم الفلسطينيين ليسوا في موضع ارتياح في العديد من الساحات والحالات ، بل هناك من يضعهم ضمن دائرة الشبهة .**

**ومع أن ما مورس عليّ من اضطهاد وتمييز من طرف اليهود، جعلني مناهضا للعنصرية منذ الصغر، فإن النظرة المصرية والعربية للفلسطينيين أزعجتني ، بل صدمتني كثيرا علما بأن معظم الشعب العربي الفلسطيني ، وخصوصا داخل الأرض المحتلة ، يحب الرئيس عبد الناصر حبا مطلقا .**

**ظلت المخابرات المصرية – لفترة غير قصيرة – تنظر إلينا على أننا جواسيس جئنا مدفوعين من طرف اليهود ! كانت عيونهم تلاحقنا في كل مكان، وكانت نظراتهم تتجاوز الشك إلى ما يشبه الاتهام ، مما جعل فرحتنا بالهروب تتبخر سريعا؛**

**فقد كنا نتصور أن إخواننا العرب سيستقبلوننا استقبال الأبطال لأننا خرقنا أسطورة الأمن الإسرائيلي ، كما وصفنا في وقت لاحق مدير المخابرات المصرية .**

**وكما ذكرت آنفا ، فإنني أدرك الآن وأتفهم جيدا موقف المخابرات المصرية في أول الأمر، لكنني في الوقت نفسه أعتقد أنهم بالغوا كثيرا في شكهم وارتيابهم .**

**لقد كنت أعيش بقدر من السعادة ؛فأنا بطل في الملاكمة ، كما أنني مدرب مشهور في السباحة ، ومرشد معروف للشباب اليساري .**

**لم يكن يمر شهر دون أن تذكرني وسائل الإعلام ، ناقلة بعض أخباري ، وها أنا الآن أجد معاملة غير لائقة من طرف الضباط المصريين .**

**لقد عانيت ما عانيت من عنصرية الصهاينة ، لكن ما عانيته من طرف إخواني العرب هو أشد وطأة بكثير؛ فظلم ذوي القربى أشد مضاضة كما قال الشاعر العربي.**

**فرض علينا الوضع الجديد أن نخوض في السياسة باستمرار، ولم أكن تحت الاحتلال أقرأ من الجريدة إلا الصفحة الرياضية بعد المرور السريع على العناوين البارزة .**

**كانت قضيتي بسيطة نسبيا عندما كنت في بلدي وقريبا من أهلي ، والآن لم يعد في إمكاني أن أرى الأهل والوطن إلا عندما ينتصر العرب على إسرائيل .**

**فرضت الظروف علينا أن نعمل مع المخابرات المصرية ..كنا مكرم وأنا نترجم نشرات الأخبار ، والصحف ، والمكالمات اللاسلكية.**

**كنا كالغرباء بين الموظفين المصريين ، وكان أهل غزة لا يرتاحون إلينا لكوننا نعمل مع المخابرات ، وهكذا لم نكن نتعامل أو نتحادث إلا مع الذين هربوا مثلنا وكانوا متزوجين وتمكنوا من التكيف مع الوضع الجديد .**

**وحين كنا نلتقي نتذمر من الواقع المؤلم الذي نعيشه وما يطفو على سطحه من مظاهر ومشاكل حياتية .**

**إن أغلب شباب القطاع ذكورا وإناثا متعلمون وهذه ميزة هامة يفتقر إليها الشباب العربي في الأرض المحتلة ، حيث لم يكن مجموع المدارس الثانوية العربية هناك يزيد على أربع ثانويات ، وأما الذين تمكنوا من الدراسة الجامعية فلم يزد عددهم حتى عام 1964 عن 75 طالبا .**

**هذان الرقمان يدلان بوضوح على سياسة التجهيل التي مارسها الاحتلال تجاه العرب رغم تعطشهم للعلم ورغبتهم فيه ، ولا أدل على ذلك من أن أهالي عارة وعرعرة – على سبيل المثال – قاموا ببناء مدرسة كبيرة بين القريتين المتجاورتين، لتمكين أبنائهم وبناتهم من مواصلة الدراسة حتى الصف الثامن.**

**وعلى الرغم من اتصاف الأهالي بالمحافظة الشديدة ، فقد سمحوا بأن يكون التعليم في هذه المدرسة مختلطا، أي يجمع الذكور والإناث ، وقد تم هذا من قبل المحتلين .**

**ومما يزيد سياسة التجهيل وضوحا ، أن الجرائد العربية – على قلتها آنذاك – كانت ضعيفة المستوى شكلا ومضمونا ، وكانت هذه الجرائد تحت إشراف دولة الاحتلال ، وتحديدا جهاز المخابرات .**

**أما أهداف هذه السياسة ، فتتجلى على الخصوص في تأهيل الشباب اليهودي للمناصب القيادية ، وتحويل الشباب العربي إلى مجرد أيد عاملة .**

**وتحقق ذلك بعد مصادرة مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية العربية بحجج واهية ، كالضرورة الأمنية !**

**كانت أراضي عارة وعرعرة نحو 45 ألف دونم ، وصارت بعد المصادرات 15 ألف دونم ، فقط بما في ذلك المساحة السكانية !**

**والنتيجة المباشرة لهذه السياسة ، تحويل الفلاحين العرب إلى عمال، يهجرون بقايا أرضهم ، ويعملون لدى اليهود لأن ما يتقاضونه كأجور شهرية أكثر بكثير من العائدات المحتملة من زراعة أرضهم ؟**

**هذا مجرد مثل أو صورة مصغرة لما حدث ويحدث في قرى فلسطين تحت الاحتلال ،حيث تصادر الأراضي الزراعية بأمر من الحاكم العسكري ، وتحاط بأسلاك شائكة ، وتزرع بالألغام لمنع أصحابها من الدخول إليها ، وكثيرا ما انفجرت الألغام وقتلت أصحاب الأرض الذين كانوا يغامرون ويتسللون إلى أراضيهم التي حولها الحاكم العسكري بجرة قلم إلى ( مناطق عسكرية محظورة).**

**مجمل هذه الظروف دفع الشباب العربي إلى القبول بأي عمل يعرض عليهم في المدن ، خصوصا وأن القانون الإسرائيلي يشترط في الراغبين في العمل أن يكونوا أعضاء في ( الهستدروت) أي نقابات العمال ، وعضوية هذه النقابات تشترط أن يكون المنتسب إليها يهوديا .**

**هذا يعني بوضوح أن العرب ممنوعون من العمل بموجب القانون ، وأن ما حصل ويحصل عليه العرب من فرص العمل في أشغال معينة، تمثل حالة استثنائية خارج القاعدة .**

**إن الحاجة للعمال العرب جعلت السلطات الإسرائيلية تصرف النظر جزئيا ، أو بصفة مؤقتة عن مخالفة القانون ، حيث صار العرب يعملون بموجب تصاريح مؤقتة، لا في إطار قانوني !**

**هكذا كان حال الفلسطينيين تحت الاحتلال،وعندما احتلت (إسرائيل) الضفة والقطاع عام 1967 م ، تقابل فلسطينيوا العمق مع أهالي الضفة والقطاع ، وأثّر ذلك إيجابيا على أهالي العمق حيث اتجهوا إلى العلم .**

**أما أنا فقد كنت أعشق العلم ، وعندما كانت الطائرات الإسرائيلية تقصف غزة خلال حرب الأيام الستة ، كنت في قاعة الامتحان ، وفي اليوم التالي طالني القصف بجروح ، فذهبت إلى مصر للعلاج .**

**وهناك قررت أن أتابع دراستي لدخول الجامعة ، وكان ذلك يقتضيني الحصول على الثانوية العامة أولا ، فالتحقت بثانوية السعديات في القاهرة .**

**وحين ذهبت إلى لبنان التحقت بجامعة بيروت العربية وهي أول مؤسسة علمية تشرف عليها منظمة التحرير .**

**كنت أرغب في دراسة الحقوق أو علم النفس ؛ لأن مطالعتي الخاصة هيأتني للسير في هذا الاتجاه ، لكنني سجلت في كلية الهندسة المدنية ، وأعترف علانية بأننا كنا نحصل على الإجابة قبل أن نفرغ من قراءة الأسئلة ! وكأن المراقبين كانوا مأمورين بتنجيحنا ، أو أنهم كانوا يعتبرون خيانة الضمير المهني عملا وطنيا ! ولعل بعضهم كان يخاف من معارضة الفدائيين .**

**وعندما شاع وذاع ما كان يجري في تلك الجامعة ، حجبت عنها الثقة من طرف الدول العربية التي لم تعد تعترف بشهادات جامعة بيروت العربية ، الأمر الذي أفقد منظمة التحرير مكسبا هاما ، ضاع كما ضاعت مكاسب أخرى عديدة بفعل التصرفات الخاطئة !**

**أثناء الفترة التي قضياها في غزة ، وتحت شعور حاد بالوحدة ، حيث لا أهل ولا أصدقاء ، كنت أتساءل : هل يمكن أن أعود إلى أهلي وقريتي؟ أدركت أن ذلك لا يتحقق إلا إذا انتصر العرب على على إسرائيل .**

**كنت أحب الزعيم عبد الناصر وأثق فيه ، على الرغم من مواقف فصائل المقاومة ومنها فتح !**

**\* \* \***

**ذات يوم كنت جالسا في مقهى أمام السرايا ، وفجأة تقدم إلي بعض الشبان طالبين مني أن أترجم لهم بعض السطور من العبرية إلى العربية ، فذهبت معهم إلى بيت أحدهم ، وهناك عرفت أنهم ينتمون إلى حركة فتح التي كانت آنذاك موضع تساؤلات وملاحقات من طرف المخابرات المصرية .**

**ترجمت السطور التي قدموها إلي ثم سألتهم هل تعرفون أين أعمل؟!**

**فأجابوا : نعم أنت تعمل مع المخابرات ؟ فقلت تعرفون ذلك وتكشفون لي هويتكم السياسية ؟! فقالوا : فعلنا ذلك لأننا تعرفك جيدا؟ تأثرت بفكرتكم الحسنة عني ، لكن طريقتكم لم تعجبني؛لأنني كنت أرى أن طبيعة العمل الوطني الفلسطيني في ظل الأوضاع المتردية ، والعلاقات المتنافرة ، تتطلب درجة عالية من السرية والحذر ؟ إلا أن الشباب لم يلبثوا أن عرضوا علي الانضمام إلى فتح .**

**وعلى الرغم مما عانيته فقد كان الذي يعارض عبد الناصر يعتبر في نظري خائنا حتى ولو كان فلسطينيا ، لكن صدمة حزيران فرضت علي قناعات مختلفة ، منها ضرورة أن يتحرر الفلسطينيون من الروح الاتكالية ، وأن يكونوا سباقين إلى الكفاح والتضحية .**

**لذلك رفضت توقيع العقد الذي عرضته المخابرات المصرية علي وعلى ابن عمي مكرم بعد أن تغيرت نظرة التحفظ ، وصرنا موضع ثقة الضباط المثريين .**

**كانت صيغة العقد تنص على الالتزام بالعمل لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد ، وقبل أن يتم مدير مكتب المخابرات عرضه ، قلت له : أنا لا أصلح للعمل معكم ؛لأنني لا أحب هذه المهنة ، فقال بلهجة صارمة :**

**لا بد لكما من قبول العمل معنا وفق شروط العقد ؟ فأجبته :**

**إنني لم أتعود على حمل المسؤولية ، ولو خيرتني بيت العمل كسائق وحجار يكسر الحجارة ، لاخترت العمل الثاني ،لأنني في حالة الخطأ،أتضرر وحدي ، فأكسر رجلي أو يدي ، لكن في الحالة الثانية ، أي في حالة حمل المسؤولية ولو كسائق فإن ما ينتج عن الخطأ قد يعود بالضرر على غيري .**

**لم أكن أكذب في ما قلت تهربا من ذلك العقد ، بل كنت أعبر عن نفسي بصدق، ومع أنني أدركت في وقت لاحق ضرورة عمل المخابرات وأهميته في العمل الوطني ، فإنني ظللت على قناعتي بأن طبيعة هذا العمل تقتضي استعدادات نفسية ، وملكات معينة ، وبالتالي فإن من غير المنطقي أن يعرض العمل في هذا الجهاز على غير المهيئين أو المؤهلين فطريا له .**

**الهروب الثانيكنت درست الصفين الأول والثاني من المرحلة الثانوية في غزة ، وبينما كنت في قاعة الامتحانات النهائية للصف الثاني ثانوي ، وذلك يوم 05/06/1967 ، تعرضت غزة لغارات من طائرات الميراج الإسرائيلية وكم كانت فرحة الناس كبيرة عندما تم إسقاط أول طائرة ميراج وتم أسر قائدها .ساد قاعة الامتحان هرج ومرج ، فاضطر الأساتذة إلى وقف الامتجان وصرفوا الطلبة .ذهبت إلى عملي في مبنى المخابرات وتوليت ترجمة نشرات الأخبار العبرية ، ومراقبة المكالمات اللاسلكية .كان هذا هو عملي أن ومكرم حتى قبل نشوب الحرب .

هب الأهالي في حماس شديد للتطوع، خصوصا بعدما علموا بأن الجيش الإسرائيلي يتقدم في اتجاه تلة المنطار ، شرق مدينة غزة ، وكانت هذه التلة موقعا لجيش التحرير الفلسطيني الذي أسقط طائرة الميراج وأسر قائدها .

بعد ساعات من بدأ القتال دبت الفوضى في أنحاء غزة ، حتى في المكاتب الحكومية بما فيها مكتب المخابرات ، وتم استدعاء الفدائيين القدماء المعروفين بفدائيي مصطفى حافظ .
كنت أتناوب مع مكرم في العمل ، ونذهب خلال وقت الفراغ للاشتراك في المقاومة الشعبية ، وفي المساء سقطت قذيفة على مبنى المخابرات فاستشهد عسكري وضابط هو الرائد عمارة الذي يقع مكتبه إلى جانب مكتبي .بعد هذه الحادثة طلب منا إخلاء المبنى وحرق جميع الملفات .

وبينما كنا تقاتل ضمن ثوات المقاومة الشعبية ، تلقيت استدعاء من مدير المخابرات يطلب من جميع العاملين في المكتب مغادرة قطاع غزة إلى مصر بواسطة زورق كان معدا لنفلنا بحرا .رفضت الأمر وقلت لهم سأبقى هنا فأخبرني المدير بأن سيناء قد سقطت وكذلك الضفة الغربية والجولان ومعظم قطاع غزة ، مضيفا أن القوات المصرية تلقت أوامر بالنسحاب الحر ، هذا التعبير العسكري يعني أن الهزيمة قد حلت .حت تلك اللحظة لم أستطع استيعاب ما يجري ولم أصدق أن عبد الناصر يمكن أن يقبل الهزيمة ، واعتقدت أن ما صدر هو مجرد تكتيك يستهدف استدراج العدو إلى العمق ، وبالتالي كنت أعتقد أن النصر سيتحقق ولذلك يجب أن أظل قريبا من قريتي.سقطت تلة المنطار وتقدم الجيش الإسرائيلي نحو شارع عمر المختار وهو أكبر شارع في غزة ؛الأمر الذي يعني أن المدينة سقطت ، وعلى الرغم من ذلك بقيت قرب مبنى السرايا وحدي واشتبكت منفردا مع القوة المتقدمة .كنت أفضل الموت على الحياة في ظل الهزيمة ، وقد كان أمامي نحو عشرين آلية عسكرية تضم حوالي مائة وعشرين جنديا وضابطا.وجهت رشاشي وهو من طراز (كارلوستاف) نحوهم وأطلقت النار ، فانبطح المشاة أرضا ، وراحت دباباتهم نمطر الموقع الذي كنت فيه بوابل من الرصاص ، وكنت أقف في ذلك الموقع دون ساتر ، بل كنت في وسط الشارع الرئيسي .

تمكنوا من إصابتي في الساق اليمنى والقدم اليسرى فسقطت على الأرض دون حراك فتوقفوا عن إطلاق النار .

رأيت الدماء تنزف بغزارة ، وظننت أن شريانا قد انقطع ورغم تمزق سروالي وخطورة النزيف ، فلم أحاول إسعاف نفسي ، لأنني اعتقدت في سعادة أنني سأموت شهيدا .

وفجأة تذكرت أمي ، وما ستعانيه حين يأتيها خبر موتي ، وسيكون حزنها أشد لأنها لن تعرف أين قبري .

لم تكن المسافة التي نفصل بيني وبين القوات الإسرائيلية تزيد عن مائتي متر، وعندما وصلوا إلي قاموا بتفتيشي ، ثم جاء ممرض وراح يسعفني مستعملا مشدا قويا ، فصرخ به زميله قائلا : ماذا تفعل؟ هذا المشد يمكن أن ينقذ حياة واحد منا !فرد عليه الممرض بأنه يفعل المناسب اتجاه أسير جريح .

دار هذا الحوار وأنا أتظاهر بعدم فهمه وأتجنب النظر إليهم خوفا من أن يعرفني أحدهم .

كان قائد الحملة موجودا في الموقع ، وبعد قليل جاء أحد الجنود وسأل : من هذا ؟! فأجابه قائد الحملة : هذا الذي كنا نشتبك معه قبل قليل ، فقال الجندي : أجهزوا عليه ! لكن قائد الحملة صرخ به : هل جننت ؟! هذا أسير وجريح .

اقترب مني ذلك الذي طالب بالإجهاز علي وراح يكلمني بالعربية .. عرفت أنه درزي وأنه العربي الوحيد الموجود معهم ، ورغم ذلك بدا دمويا ، فتساءلت في نفسي: لماذا يتصرف هكذا ؟ هل يريد أن يثبت إخلاصه لليهود ؟ هو يعرف أنهم لا يعتبرونه منهم رغم أنه يعمل في جيشهم ! هل نسي أنه عربي ! كيف ؟!

اتضح لي بعد أن أسعفوني وتجمعوا حولي أنني أول جريح يقع بين أيديهم.اقترب مني اثنان ، أحدهما ذو ملامح أوروبية ، والثاني شرقي الملامح .كان الثاني يتكلم بالعبرية ، أما الأوروبي فلم يتفوه بكلمة ، وعرفت لاحقا أنه من كيبوتس(هاعوجن) كما عرفت أنه ذهب إلى صديق لي في قرية باقة الغربية ، وطلب منه أن يصحبه إلى قريتي عارة حيث طلب من بعض الأولاد أن يخبروا أهل حمزة بأنه جريح في غزة ، ولما بلغ الخبر والدي ، قال ما دام المبلغ من الجيش الإسرائيلي، فهذا يعني أن حمزة مختبئ في غزة ةأنهم يريدون استدراجنا إلى هناك للقبض عليه .

بعد أن توقف القتال في مدينة غزة ، نقلوني بسيارة عسكرية إلى المستشفى الإنجليزي ، وكان المستشفة الوحيد الذي يقدم خدماته للمرضى آنذاك ، لأنه تم القبض على الممرضين والممرضات العاملين في مشافي القطاع .

سألوني في المستشفى الإنجليزي عن اسمي وجنسيتي ، فقلت لهم أنني فلسطيني من سكان القاهرة ، وأن اسمي ( عارف محمد سالم ) .قاموا بإجراء عملية سريعة لي ، وكان في الغرفة عدد من العسكريين الجرحى منهم صديقي فاخر النخالي من رعاية الشباب .لم يكن في الغرفة عشرة أسرة ، بينما كان عدد المرضى ثلاثين ، ينام أغلبهم على الأرض، ولاحظت أن متوسط عدد الذين يموتون في المستشفى يوميا : نحو عشرين شخصا .

كان حظر التجول مفروضا على المدينة ، ولا يسمح للأهالي بالخروج إلا خلال ساعات قليلة محددة ، أما زيارة المرضى في المستشفى فكان محددا لها نصف ساعة فقط ( من الثانية عشرة إلى الثانية عشرة ونصف ) .

خلال هذه الفترة القصيرة كان الأهالي يتدفقون على المستشفى لزيارة مرضاهم أو للبحث عن مفقودين لهم ، وهكذا كان المستشفى يشهد حالة ازدحام في فترة الزيارة .

زارني بعض الأصدقاء ،فطلبت منهم عدم زيارتي وعدم إخبار أحد عن مكاني!ومن جملة الذين زاروني زميلي في الملاكمة جلال حمو ، وهو من أهالي غزة ، وكان معه أحمد الفلاح من عرب الداخل من عكا .

كان أحمد الفلاح هرب بزورق من عكا إلى قطاع غزة عام 1966، وأثناء التحقيق معه من طرف المخابرات المصرية ، تعرفت عليه ، وبعد أن أخلت المخابرات المصرية سبيله كان يزورني أحيانا وكنت أعطف عليه. عرفت في وقت لاحق أن هذا الشخص فد سلم نفسه إلى الجيش الإسرائيلي عند دخوله غزة وقبل أن يتعاون معه، وأرشدهم إلى البيوت التي يعرفها سواء كانت لرجال المخابرات أو لرجال المقاومة، أو للفارين إلى غزة من عرب 1948 م.بعد انتهاء الزيارة ، وحتى الساعة الرابعة عصرا ، كان الهدوء يخيم على الغرفة فيما كنت مستلقيا على سرير ، وفجأة رأيت أحمد الفلاح فوق رأسي ومعه أربعة جنود ، وقال لي : ( خلاص يا حمزة سلم نفسك ) ! فنهضت من سريري وبصقت عليه ، فدفعني الضابط على السرير وأسلحة الجنود مصوبة نحوي .تبين لي أنهم ضباط أولهم برتبة عقيد ، والثاني برتبة رائد ، والثالث درزي برتبة نقيب ، أما الرابع فكان برتبة شاويش .

تقدم مني النقيب الدرزي طالبا مني أن أهدأ، وقال : لقد انتهت الحرب وعليك أن تفكر في نفسك ، وراح الضباط يسألونني عن ضباط المخابرات المصرية ، وعن ابن عمي مكرم ، وبالطبع لم أكن أعرف عنهم شيئا .ثم استفسروا عن إصابتي ، وكنت لا أستطيع الوقوف ولا لثانية واحدة.

كان في المستشفى عدد من الممرضات الفلسطينيات قدمن من لبنان للتدرب على التمريض ، وكانت المسؤولة عن القسم سهيلة بهسوس، وقريبتها نهاية بهسوس .

وكنت أعامل معاملة خاصة دون أن أعرف السبب ، ومن مظاهر الرعاية الخاصة أنهن كن يسحبن سريري إلى الشرفة من حين لآخر، بالإضافة إلى بعض الحلويات التي كن يعددنها .

شاهد العقيد إصابتي وتأكد من أنني لا أستطيع المشي ولا حتى الوقوف، وبدا عليه الارتياح والاطمئنان عندما عرف أنه لا يزورني أحد ، وعندما سأل مدير المستشفى عن إمكانية نقلي إلى تل أبيب ، أجابه المدير بأن ذلك ممكن إذا تم نقلي بسيارة إسعاف ، مضيفا أنه لا يضمن بقائي حيا إذا نقلت في هذه الحالة ، وأنه ستجرى لي عملية أخرى في اليوم التالي .وانصرف الطبيب بينما كان العقيد يتحادث مع الرائد باليديشية ( وهي العبرية المطعمة بالألمانية ) ، أما النقيب الدرزي فكان يوجه إلي عدة أسئلة من طراز : من أين أنا؟ وهل لي أقارب في قطاع غزة ؟ لم تكن أسئلته ذات أهمية ، بل كانت تبدو لمجرد الدردشة .

تجمع الأربعة حولي يتشاورون ، وقال العقيد وهو ينظر إليّ: يريد أن نتركه ، لم يتكلم ، فكررها ثلاث مرات ، ثم قال : سنأخذه معنا إلى تل أبيب ، وطلب مني إبداء رأيي فقلت له :عم يبحث المريض؟فقال: عن العلاج !فقلت: إذن سيان عندي أن أبقى هنا أو أن أذهب إلى تل أبيب ما دمت أجد العلاج هنا وهناك .

ضحك العقيد وقال :سنتركك هنا إلى أن تشفى تماما ثم نصحبك إلى البيت، وبعد فترة سنطلبك لنطرح عليك بعض الأسئلة ، أما الآن فسنخبر أهلك بوجودك هنا ليزوروك ، وقبل أن ينصرفوا وضعوا حراسة مشددة علي .

كان هناك حراسة مشددة عند بوابة المستشفى يقوم بها عدد غير قليل من الجنود .

علمت بأن حافظ مصالحة زميلي في الهروب الأول قد دخل الأرض المحتلة حيث ألقي القبض عليه قبل الحرب بأسبوعين وأدخل في سجن الرملة ، وبعد احتلال القطاع أحضروه ليدلهم على منازل الفدائيين وضباط المخابرات المصرية ، وعلى بيتي وبيت ابن عمي مكرم ، كما علمت وأنا في المستشفى أن المذكور كان يتردد على بيتي ومعه ضباط من المخابرات الإسرائيلية ، بحثا عني وعن مكرم .

وبعد أن عرفوا أنني في المستشفى جاءوا إلي للتأكد من حالتي، وعندما انصرفوا تجمع حولي الممرضون والممرضات وراحوا ينظرون إلي نظرات تفيض بالشفقة ، فصرخت فيهم قالئلا : ل تقلقوا ! أفسم لكم بالله العظيم أنني لن أدخل تل أبيب وقلبي ينبض !لقد أخطأت حين سمحت لهم بأسري حيا!

شعرت بأن نظراتهم تقول لي ، جرب حظك مرة أخرى ، فقلت لهم ، لتعلموا أنني سأهرب ، وكانت هذه أول مرة أعلن فيها نيتي في الهرب .

أحضروا لي حبوبا مهدئة للأعصاب ، وحين هدأت، شعرت بأنني تسرعت ، فقلت لهم ، طبعا من المستحيل أن أفكر في الهرب ؛لأن أهلي سيأتون لزيارتي ولابد أنهم سيوكلون محاميا للدفاع عني .

كان رجال المخابرات الإسرائيلية يترددون علي عدة مرات في اليوم ، ويسألونني إن كنت عرفت شيئا جديدا ، وهل زارني أحد ممن كانوا يسألون عنهم ، وبعد استجوابي كانوا يذهبون إلى مدير المستشفى .وذات مرة طلبت من سهيلة بهسوس أن تتبعهم إلى مكتب المدير لتعرف متى سينقلونني؛لأنني مشتاق إلى أهلي .

وفي 20/06/1967 أجريت لي العملية الثانية ، وعلى الرغم من الجبس الموضوع على طول رجلي ، فقد بدأت أركب الدراجة ذات العجلات الثلاث ، ثم رحت أتنقل في المستشفى ليتعود الجميع على تنقلاتي ويعتبروها عادية.

كنت في الطابق الثاني،وكان مستبعدا أن أحاول الهرب لأن هناك حراسة مشددة على المدخل ، إضافة إلى السور الذي يبلغ ارتفاعه مترا ونصف المتر .

كتبت جريدة اليوم الإسرائيلية في 24/06/1967 ، مقالا مطولا عني تقول فيه : ( ألقي القبض على حمزة يونس الذي هرب من سجن عسقلان قبل ثلاث سنوات ).

كان حافظ مصالحة قد أعيد إلى سجن الرملة ، حيث كان ابن عمي المدعو (عبد اللطيف عبد القادر يونس) سجينا بتهمة التعمل مع المخابرات السورية .

تأكد أهلي بعد نشر الخبر بأن الجندي الذي أبلغهم الخبر كان صادقا ، وأنني جريح في غزة ، وأنني في حكم المعتقل .

ذات يوم ، في إطار التردد اليومي المألوف لرجال المخابرات علي لطرح الأسئلة ، جاءني النقيب الدرزي وسألني عما إذا كنت عرفت جديدا أو أن أحدا ما قد زارني ، وكان من عادتي أن لا أجيب بسرعة حتى وإن جرى استفزازي .وعندما طرح النقيب سؤاله تضايقت ونظرت إليه بتمعن وقلت له :

حتى أنت تسألني؟!فقال: لماذا؟ ألست أعجبك؟!فأجبته: أنتم تموتون من أجلهم ، ولكن هل تعتقد أن واحدا منهم (أي اليهود) مستعد لأن يجرح من أجلكم؟! قل لي كيف سيكون حالكم حين تنتهي حاجتهم إليكم ؟

لم يجب النقيب فواصلت كلامي :ألا تعرف المثل اليهودي الذي يقول ( لا تصدق الكافر حتى بعد موته بأربعين سنة ) ؟!ألست في نظرهم كافرا؟!

تغير لون النقيب وقال لي :كفى ، كفى !

توقعت أن يخبر المسؤولين عما قلته ، لكنه لم يفعل وعرفت أنه من (دالية الكرمل) ، وصار يزورني وحده مكتفيا بالسؤال عن صحتي !عرفت لا حقا أنه رقي إلى رتبة رائد وترك الخدمة العسكرية ، وعمل في التجارة ، كما علمت أنه رزق ةلدا سماه حمزة!

حين كان رجال المخابرات يأتوت إلي كنت أسألهم عن أهلي وأتظاهر بأني أصدق كل ما يقولونه ، وذات مرة كتبت رسالة وطلبت منهم إرسالها إلى والدي لبطمئن علي ، وكنت أسألهم عما إذا كان العلاج في تل أبيب أفضل منه في هذا المستشفى؟!

كان لدى بعض الممرضات شك في أنني أنوي الهرب، ومنهن رئيسة القسم سهيلة بهسوس التي قالت لي : لو فكرت في الهرب فسنظطر إلى قطع رجلك.قالت ذلك محذرة إياي عدة مرت ، وقدمت لي حاجات الإسعاف الأولي قائلة ، يمكن أن تحتاج إلى هذه الأشياء التي سأعطيك إياها إذا نقلوك إلى تل أبيب .

استمر الحال على هدذا المنوال إلى يوم 26/06/1967 صباحا حيث تم خلع الجبس عن رجلي ، وكنت اتفقت مع بعض الأصدقاء على أن يأنوا مبكرين لزيارتي في هذا اليوم .حضر أربعة أصدقاء هم صالح الغول ، شكري الخالدي ، زياد الشوبكي وكايد الغول .

الهروب من المستشفى

قبل بدء موعد الزيارة بقليل ،ركبت الدراجة ذات الثلاث عجلات كعادتي ، ورحت أتحرك في المستشفى مرتديا ملابس مدنية تحت ملابس المستشفى .وفي حدود الساعة الثانية عشر ظهرا ، فتح الباب للزوار ، وكان أصدقائي المذكورون سابقا أول الداخلين .أخذ أحدهم الدراجة وأبعدها عن الممر ، وهمس لي صالح بأن الحارس الذي يقف على الباب الخاص بالأطباء العاملين في المستشفى ،صديق له ، وأنه أخبره بأن المريض يريد الخروج من هذا الباب لزيارة والدته المقعدة، وسيعود قبل انتهاء موعد الزيارة .

خرجنا من ذلك الباب فعلا ، وبعد أن قطعنا مسافة قصيرة اجتزنا حارتين، ثم وقفنا أمام أحد البيوت، بينما ذهب شكري ليحضر سيارة أجرة، أما نحن فقد طرقنا باب ذلك البيت وطلبنا منهم أن نشرب الماء .

بدونا في وضع عادي جدا ونحن نجلس أمام البيت وبابه مفتوح، وحضر شكري مع السيارة ، فأعدنا إبريق الماء وأغلقنا باب البيت ، وركبنا السيارة إلى مخيم الشاطئ ، وكانت بيوت هذا المخيم ذات طابق واحد ، ومتلاصقة تقريبا .

دخلنا إلى بيت صالح الغول ، حيث قدم لنا أهله بعض الطعام.سمعنا صوتا من البيت المجاور يقول : هناك شخص اسمه حمزة يونس مطلوب لليهود، وقد هرب من المستشفى إلى مخيم الشاطئ .

عندما سمعت ذلك توقفت عن الطعام رغم حاجتي إليه ، وطلبت من الأصدقاء نقلي في أسرع وقت إلى مكان آخر ، فأحضروا سيارة على الفور ونقلوني إلى شمال غزة في منطقة شجرية يوجد فيها العديد من ورشات الفخار ، كما أن فيها حفرا عميقة مظلمة ، وفيها أماكن يمكن الاختباء فيها .وهي في الوقت نفسه قريبة من بيت زياد الشوبكي، الأمر الذي يسمح لأصدقائي بأن يأتوا إلي في الليل، وكانوا في بعض الحالات يحضرون معهم طبيبا ليقوم بمعالجتي .

مكثت هناك بضعة أيام ثم انتقلت إلى إحدى بيارات البرتقال ، لأنني لم أكن واثقا من إمكانية مراقبة المنطقة من ذلك المكان خوفا من التوقعات والمفاجآت، آثرت الذهاب إلى وسط البيارة حيث حفرت حفرة في ظل شجرة برتقال كبيرة ، وكنت عندما أنام في الحفرة أضع على رأسي حزمة من العشب تسمح لي بالرؤية والتنفس .

وفي الليل كنت أتدرب على المشي ، واستمريت على هذا الحال لمدة تقارب شهرا. وتمكنت خلال هذه الفترة من السير لمسافة عشرة أمتار.في هذه الآونة سمح للمواطنين الإسرائيليين بدخول غزة. وذات يوم رأيت صالح الغول ، وشكري الخالدي قادمين إلي في وضح النهار، عندما اقتربوا من الشجرة التي كنت أستلقي تحتها قال شكري :إن والدك وابن عمك عندنا في البيت ، وقذف لي بطاقتيهما ، وحين رأيت صورتيهما اغرورقت عيناي بالدموع، وصمت قليلا ثم قلت:أحضروهما في المساء إلى بيت زياد الشوبكي .

وفي المساء ذهبت إلى بيت زياد قبل أن يحضروا إليه ، واغتسلت وحلقت ذقني واستعددت لاستقبالهما .

عندما دخلا تعانقنا وجلسنا بعض الوقت أخبرني والدي برؤية الجندي اليهودي ، وحافظ مصالحة ، وأن أهلي منذ ذلك الوقت حاولوا دخول غزة لكن الجيش كان يمنعهم ، وواصل والدي كلامه قائلا:لقد حضر معنا عدد من أقاربك وأبناء البلد ، وانقسموا إلى ثلاث أفواج للبحث عنك بعد أن ذهبوا للمستشفى الانجليزي وعرفوا من بعض العاملين فيه أنك هربت ، وأنك ملاحق من طرف المخابرات الإسرائيلية .ذهب بعضهم إلى المشافي الأخرى ، وبعضهم الآخر ذهب إلى أصدقائك الرياضيين عسى أن يعرفوا منهم أين حمزة ، أما الفوج الثالث فقد ذهب يبحث عنك في البيارات.

أضاف والدي قائلا: اتفقنا على أن نلتقي في السابعة مساء لنعود إلى القرية ثم نستأنف البحث عنك في اليوم التالي .

ولما أتم والدي كلامه ، خشيت من أن ينتشر خبر وجودي هنا ، فقلت له :

أنوي أن أذهب غدا إلى مصر عن طريق البحر ، وطلبت منه أن يذهب إليهم في الموعد المتفق عليه دون أن يخبرهم بأنه رآني ، وأن يطلب منهم عدم الحضور مرة أخرى ، وقلت إنني سأرسل لهم رسالة فور وصولي مصر.

ثم تعانقنا وودعاني وانصرفا ، وكان والدي يعتقد أنني سأذهب فعلا إلى مصر غدا.

وبعد يومين خضر شكري الخالدي وأخبرني بأن والدي ووالدتي واثنين من أقاربي عنده في البيت ، وأنه أخبرهم بأنني مازلت هنا .

ذهبت في المساء إلى بيت زياد فوجدتهما في انتظاري ، وبعد العناق راحوا يستفسرون عن أحوالي وعن كيفية سفري بالبحر .كانت هذه الرحلة من نسج خيالي ، ولم يبد والدي مقتنعا بها ، فاقترحوا أن أذهب معهم إلى قريتنا مستعملا هوية أحد الأشخاص الذين يشبهونني فيما يبقى صاحب البطاقة في القطاع إلى أن تعاد له البطاقة .

وبعد مناقشة تفاصيل هذه الفكرة اقتنعت بها ، وتحمست لها لأنها تجعلني قريبا من الضفة الغربية حيث يمكنني الانتقال منها إلى الضفة الشرقية ، وهذا ما جدث فعلا .

وحين وصلت إلى المسقاة وجدت جميع أقاربي في انتظاري وكأننا على موعد ، وفور وصولي قام الأهالي بمنع الأولاد من مغادرة الحي خوفا من انتشار خبر وجودي في القرية .

مكثت في القرية حتى الفجر ثم امتطيت حمارا إلى الضفة الغربية ، ومن ثم ركبت سيارة أوصلتني إلى الجسر ، وعندما وصلت إلى نقطة المراقبة الإسرائيلية ، كانت تجري عمليات نشطة لإصلاح الجسر ، وفي الطرف المقابل كان الجيش الأردني يمنع سيارات الأجرة من الوصول إلى شرق النهر ، منعا لخروج أهالي الضفة الغربية منها .

حاولت أن أغير شكلي قدر الإمكان حتى لا يتعرف علي جنود النقطة الإسرائيلية التي أخبرني أفرادها بأنه لا يوجد سيارات من الطرف الآخر ، فقلت لهم : أنا طالب في جامعة القاهرة ولا أستطيع البقاء لأن هذه الفترة فترة امتحانات ، فطلبوا مني أن أوقع على وثيقة تنص على تنازلي عن كافة ممتلكاتي في الضفة الغربية ، فوقعتها باسم عارف محمد سالم ، ثم ركبت السيارة وطلبت من السائق أن يوصلني إلى أقرب نقطة من الجسر حتى لا يكتشفوا أنني مصاب وعاجز عن السير.وكان هناك أخشاب تستعمل في إصلاح الجسر ، ساعدتني على إخفاء إصابتي لأنني كنت لأتكئ عليها متظاهرا بالسير الطبيعي .

عندما وصلت إلى الجسر استأجرت من أحدهم حصانا أوصلني إلى منطقة المثلث المصري داخل الحدود الأردنية ، ومنها ركبت سيارة إلى عمان .

في عمان التقيت بعض أقاربي وذهبت إلى مستشفى الأشرفية ، وبعد أسبوع سافرت إلى مصر ، وهناك عولجت بادئ الأمر في مستشفى العجوزة ، ثم في مستشفى الحلمية العسكري .وحين تم شفائي عملت في تدريب بعض دورات حركة فتح التي صار لها وجود رسمي في مصر كما عملت مذيعا في إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية .وكما ذكرت في مكان سابق ، التحقت بثانوية السعديات وحصلت على الثانوية العامة.

وفي القاهرة قابلني بعض رجال المخابرات المصرية لتقديم راتبي إلي ، لكنني رفضت استلامه ؛ لأنني كنت قررت عدم العمل مع الجيوش النظامية رغم أن رائدا في المخابرات المصرية هو الآن لواء متقاعد ، وهو السيد إبراهيم الدخاخني ، كان يحبني كثيرا ، فحاول إقناعي بقبول الراتب إلى حين شفائي تماما .

وكما ذكرت سابقا ، كنت تعرفت على بعض الشباب من حركة فتح، ثم التقيتهم في مصر ، وكانوا يقارعون قوات الاحتلال ، وأصبحت مشدودا أكثر إلى فتح بعد معركة الكرامة ؛لأنني ساهمت في تدريب بعض المشاركين فيها .

\* \* \*

الفصل الخامس

في حركة فتح

تحايلت على المخابرات المصرية إلى أن سافرت إلى عمان ، وفور وصولي اتصلت بالسفارة المصرية ، وكان الرائد المذكور وهو هنا المقدم إبراهيم الدخاخني يعمل في السفارة كملحق عسكري وضابط اتصال بين الحكومة المصرية وحركة فتح.أخبرته بأنني أرغب في الانضمام إلى فتح لأنها ليست تنظيما حزبيا ، وكنت غير راض عن الأحزاب السياسية من مختلف الاتجاهات .

وبعد انضمامي إلى فتح لمست أن فيها نوعين من المناضلين : نوع يريد أن يعطي ونوع يريد أن يأخذ ، وعلى الرغم من كل السلبيات فإن المقاومة الفلسطينية كانت الظاهرة الصحية الوحيدة التي ظهرت في منطقة بعد هزيمة حزيران عام 1967 م.

وكان من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن تتعايش الأنظمة مع الثورة ، لأن لكل منها رؤية وأسلوبا في العمل يختلف عن الآخر وقد يتناقض أحيانا .

لم تستطع فتح وسائر فصائل المقاومة أن تستوعب المد الجماهيري الواسع الذي ظهر بعد حزيران وتزايد بعد معركة الكرامة .

بقيت في الأردن إلى أن خرج منها الفدائيون ، وعملت في إذاعة فتح في (درعا) لمدة شهرين ، ثم انتفلت إلى جنوب لبنان للعمل العسكري.

كلفت بتوصيل السلاح إلى الأرض المحتلة ، وكانت المجموعة التي أشرف عليها بهذا الغرض مكونة من أربعة أفراد وهم حسب أسمائهم الحركية : أبو شريف ، مجاهد ، الشيخ رزق وباسل .

كان علينا أن نبيت قرب الحدود لنقطعةأطول مسافة في الليلة الأولى ، وكنا نحمل أكثر من ثلاثين كيلوغراما من الأسلحة الشخصية، ومؤونة الأسبوع فضلا على كمية الأسلحة والمتفجرات المراد تسليمها لتنظيم الداخل .

لم يكن عبور الحدود صعبا ، حيث كان الحاجز مجرد سلكين شائكين وطريق ترابي لكشف الأثر ، وشارع معبد .كان هناك بعض الألغام ،لكننا كنا نعرف أماكنها ، كما كنا مؤهلين للتعامل معها إذا اضطررنا لذلك .عبرنا الحدود بأقصى سرعة لكي لا يكتشفوا دخولنا ، واجتزنا الطريق الترابي بواسطة سلالم لكي لا نترك أثرا ، إضافة إلى رش ببعض المواد كالفلفل وبعض الروائح لتضليل الكلاب المدربة .

ولمزيد من تجنب ترك الأثر كنا نسير أطول مسافة ممكنة على الطريق المعبدة واستطعنا الوصول قريبا من الهدف المحدد (النقطة الميتة) فياليوم التالي، وهناك مكثنا طول النهار نراقب المنطقة .

وعند الغروب ذهبت ومجاهد إلى النقطة المذكورة ، وبعد حلول الظلام سمعنا حركة ، وتركنا الشخص يتقدم أكثر إلى أن وصل إلى المكان المحدد ، ثم حملت سلاحي واتجهت نحوه ، وحين دنوت منه طرحت السلام ، ثم قلت : (الديك) ، فرد علي ذلك الشخص قائلا :(في المصيدة) .

كانت هذه هي كلمة السر بيننا ، وقمنا بتسليمه الأمانة فيما كنت أسأله عن الأحوال في الداخل ، وكان الظلام دامسا والسكون مخيما على المكان ، وفجأة صرخ وقال لي:( يعيش البز (الثدي) الذي أرضعك يا حمزة يونس؟)!

كنت التقيت هذا الشخص في تل أبيب حيث كان يعمل في معمل (كازوز) مع بعض أصدقائه ومعهم عمي غالب .

وذات مرة حاول أحد اليهود استفزازنا ، وعندما سألت عن سبب تصرفه اتجاهنا ، قيل لي أنه بكره العرب ويتعمد استفزازهم .وقد حاول فعلا أن يمس كرامتي ، ولحسن الحظ كان المعمل يحتاج إلى عمال ، فطلبت العمل فيه، وتمت الموافقة على طلبي .وفي اليوم الأول لوجودي في المعمل ، اشتبكت معه بالأيدي ، فتجمع حولنا العمال وفصلوا بيننا .

كان في المعمل بعض الفتيات ومنهن صديقتة ذلك اليهودي ، فحاول استعراض عضلاته أمامها بعد أن تم الفصل بيننا ، فهاجمني فصددت هجومه بضربة أسقطته على الأرض .

روى الشاب العربي ما حدث لأهالي قريته فقالوا ( يعيش البز الذي أرضعه)، فصارت هذه العبارة هي التحية المأثورة التي يقابلني بها حيثما رآني .

بعد تسليم الأمانة ودعناه وعدنا مسرورين خصوصا وأن حمولتنا صارت خفيفة .كنا أثناء العودة أقل حذرا ، وعند وصولنا إلى منطقة حرجيه قرب الحدود اللبنانية ، رأينا جسما غريبا ظنناه أول الأمر دبابة ، وتبين لنا فيما بعد أنه جرار للحراثة ، وشاهدنا كذلك شخصا يجري في اتجاه الوادي ، جزمنا بأنه يهودي ، وأنه سيخبر عنا، فأسرعنا نحو الأحراش ، وبعد فترة انطلقت قذائف إنارة من بعض الكمائن الإسرائيلية .

ومع شروق الشمس بدأ تمشيط المنطقة بقصف مدفعي مكثف ، يستهدف الأحراش التي كنا فيها .

وقد شاهدنا بعض الكمائن المتقدمة في أطراف الغابة ، واخترنا أن نجلس في الزاوية الجنوبية الغربية من الغابة لبعدها عن الحدود اللبنانية .شبت بعض الحرائق في الغابة نتيجة القصف ، وحين اشتد القصف اقتربنا من أحد الكمائن حيث كنا نسمع جهاز اللاسلكي ونسمع حديثهم مع بعض .بل كان يمكننا رؤية ما يأكلونه ، وكان من جملة ما عندهم شاي سخن، وفكر الشيخ رزق في أن يتسلل ليسرق إبريق الشاي حيث قال ساخرا :ليس من العدل أن يأكلوا ويشربوا شايا ساخنا ونحن بلا طعام ، فرد عليه أبو شريف:يمكنك أن تشرب شايا ساخنا بعد ساعتين من غروب الشمس .

قبل الظهر أخذوا يدخلون الغابة ويمشطونها ، عرفنا هذا من الجهاز القريب منا ، كما أننا صرنا نسمع بعض الطلقات من الأسلحة الخفيفة ، الأمر الذي يدل على دخول المشاة إلى الغابة ، وهذه هي عادة الجيش الإسرائيلي عندما يمهد للتقدم إلى موقع ما .

ذهب أبو شريف ، ومجاهد في اتجاه المشاة الذين دخلوا الغابة ، وكمنا حتى اقترب الجنود منهما ، وعندئذ أمطراهم بالقنابل والعيارات النارية ثم انسحبوا .

في الوقت نفسه انسحب الجنود من الغابة، وعند خروجهم منها ، استأنفت المدفعية قصف الموقع من جديد! لكننا كنا نجلس في هدوء واسترخاء تامين قرب الكمين اليهودي ، لأنهم لا يقصفون هذا المكان، كما أنهم يستبعدون وجودنا هناك.

تركز القصف على وسط الغابة ، وعلى طول الحدود اللبنانية ، واستمر إلى ما قبل الغروب.قمنا بإحراق الغابة لتغطية انسحابنا إلى الحدود ، وكان الدخان كثيفا جدا ، مما ساعدنا على الوصول بسرعة شديدة إلى الحدود .

تميزت عملياتي بالغرابة والبساطة وقلة التكاليف .كانت نظريتي في العمل تقوم على مغزى حكاية العصفورة والفيل في كليلة ودمنة ، فما دامت العصفورة أضعف وأصغر حجما من الفيل ، فعليها أن تقاومه بوسائلها الخاصة التي قد لا تخطر في باله .

إن عنصر الطرافة والبساطة كان طابعا مميزا لعملي وما قمت به من عمليات أشير إلى بعضها ، فقد طلب مني ذات يوم من عام 1971 م ، أن أوصل كمية من السلاح إلى شاطئ نهاريا، وكان الطلب يمثل تحديا ، لأن الذي طلبه وهو أبو صلاح مسؤول الساحة اللبنانية ، كان يعتبر ذلك شبه مستحيل نظرا لكثافة الدوريات والحواجز ، لكنني قبلت التحدي واستعملت حسكة بلا شراع ، كالتي يستعملها المصطافون.ركبت فيها مع زميلي أبو شريف ، وحين كنا نمر عبر كشاف المراقبة ، ننزل في الماء ونسحب الحسكة إلى أن نجتاز المنطقة التي يشملها الكشاف سباحة .تمكنا فعلا من وضع ( الأمانة) في المكان المحدد ، وعدنا بالطريقة ذاتها .

وصلنا البر اللبناني مع الفجر وقضينا النهار مختبئين في الأحراش، تجنبا لكشفنا من طرف الحراسة اللبنانية ، وعند الغروب واصلنا السير فرآنا بعض الأهالي ونحن في لباس الضفادع البشرية فحسبونا من العدو وأبلغوا النقطة اللبنانية المجاورة.

ألقى اللبنانيون القبض علينا ونقلونا إلى نقطة للجيش في صور ، ومنها إلى نقطة الأمير بشير في بيروت ، حيث قضينا في الحجز أسبوعين دون أن يسأل عنا ذلك المسؤول الذي قمنا بالعملية تلبية لطلبه .

\* \* \*

في 05/10/1971 ، دخلت دورية من الضفادع البشرية وهم : وليد حطيني ، غضنفر ، زياد ، وائل وحمزة ، وكان هدف دخولنا خطف بعض الجنود اليهود لمبادلتهم بالأسرى .

عند اقترابنا من شاطئ نهاريا فوجئنا بزورقين عسكريين إسرائيليين يفتحان النار علينا ، فأصيب محرك زورقنا الصغير .كان الموقف لصالحهم فقد كشفونا ونحن على بعد أمتار منهم ، وفور بدء الاشتباك قفز غضنفر إلى الماء ، وتمكن من السباحة لمسافة ثلاثين كيلومترا ، أما نحن فوقعنا في الأسر .

عندما علم المسؤولون في الثورة من خلال التصنت على أجهزة الاتصال الإسرائيلية ، أن أحد أفراد الدورية قد هرب ، جزموا بأن ذلك هو حمزة يونس، فأرسلوا دوريات إلى الأماكن التي كنت أتردد عليها قرب الحدود اللبنانية .

كانت المعركة غير متكاقئة ، أدركت بأننا واقعون في الأسر لا محالة ، لأننا كنا في زورق مطاطي صغير ، محركه معطل .

كنت أسمعهم يقولون عن غضنفر : مات ، مات ، معتقدين أن بدلته التي خلعها والتي أمطروها بوابل من الرصاص هي نفسه ، ثم عرفوا بعد ذلك أن الذي مات هو بدلة غضنفر وليس الغضنفر .

كانوا يسلطون الأضواء علينا فيروننا في حين أننا لم نكن نراهم .طلبت من أفراد الجماعة أن لا ينظروا إلى الأضواء عندما يتكلمون ، وأن يكونوا مستعدين للاشتباك إذا سنحت الفرصة ، فقال قاذف الآر بي جي وائل : أنا جاهز ، فقلت لزياد سائق الزورق : جهز نفسك ، فقال : لقد أصيب المحرك وتعطل .

تأكدت عندئذ أنه لا جدوى من الاشتباك ، وأننا سنقع في الأسر .تذكرت ما يمكن أن يترتب على أسري من مصائب تطال الكثيرين ، خصوصا أولئك الذين ساعدوني في الهروب الثاني ، بالإضافة إلى ما سيلحق أهلي وأصدقائي من ضرر ، وهل يعقل أن أرد جميلهم بالإساءة إليهم ؟!

قررت أن أقفز في الماء أمامهم ليطلقوا النار فأموت دون أن يمس غيري بأذى .

لكنني عدت وقلت لنفسي : ليس المهم أن يموت الفدائي لكن عليه أن يعرف كيف يموت ،وعز علي أن أموت دون ثمن وهم ينظرون إلينا، ودون وعي مني وجدتني أبصق في الماء قاصدا بالبصقة من علمني هذه العبارة التي حالت دون تحقيق هدفي، وسلمت نفسي دون أن أقوم بأية حركة ، حتى لا أعرض رفاقي للموت ، فإن كنت راغبا في الموت فما ذنب رفاقي ؟! طلبت من زملائي أن يتباطؤوا أطول وقت ممكن في تسليم أنفسهم ، حتى يتمكن غضنفر من الابتعاد تماما عن المكان ، بحيث لا يستطيعون مطاردته .

سقط زياد أو تظاهر بالسقوط في الماء ثلاث مرات قبل أن يصعد إلى زورق العدو، وهذا فقط ما يمكننا أن نفعله ونحن في ذلك الظرف.

بعد صعودنا إلى زورقهم سار متجها إلى حيفا ، وفكرت في أن أعترف على مرحلتين ؛المرحلة الأولى في البداية ، وبعد التعذيب الشديد ، سوف أعترف بمعلومات يعرفونها ، ثم أتوقف دون إضافة شيء مهما فعلوا بي .وفي مقدمة ما عاهدت نفسي ووطنت عزمي عليه هو أن لا أقدم أية معلومة تجر أحدا إلى السجن ، وما دمت غرقان فلماذا أغرق غيري؟وصلنا إلى حيفا حيث أجري تحقيق سريع معنا ، ثم أخذونا بسيارة سارت بنا نحو ساعة ونصف ، وعرفنا فيما بعد أننا وصلنا إلى السجن العسكري في صرفند حيث استقبلونا بالكلاب ، وقد سمعتهم يقولون : ( قدموا لهم وجبة الاستقبال ) .

\* \* \*

الفصل السادس

التحقيق في صرفند

كنا مقيدين ومعصوبي العيون ، أما وجبة الاستقبال فقد قدمتها لنا كلاب مدربة ، تقفز على ظهورنا وتضربنا ، ثم تنبح بصوت مرعب وشديد كالهدير في آذاننا تماما .

عرفت أن زملائي يتناولون معي نفس الوجبة ؛لأن صراخهم كان يصلني على الرغم من دوي أصوات الكلاب ، ثم فرقونا وأخذ كل واحد منا إلى زنزانة انفرادية .

وكنت قد اتفقت معهم قبل أسرنا على أن نروي ما حدث معنا خلال الأسبوعين الأخيرين فقط ، ثم يروي كل واحد ما يراه مناسبا .

جعلونا نخلع كل ملابسنا حتى الداخلية وقدموا لنا ملابس عسكرية قديمة دون ملابس داخلية وبعد وضعي في زنزانة انفرادية هي عبارة عن حجرة صغيرة لا نوافذ لها ، ولها باب حديدي فيه ينظر الحراس من خلالها بقصد مراقبتنا دون أن نحس بهم .كانت الزنزانة مضاءة إضاءة قوية طوال الوقت ، وكانت جدرانها مرشوشة بطلاء خشن له نتوءات حادة تؤلم الظهر إذا اتكأ عليها ، وتجرح الأيدي إذا لامستها .

بعد قليل ، جاء شرطي وأخذني إلى غرفة التحقيق .كان هناك أربعة محققين ، أحدهم يدعى (بوءز) برتبة مقدم ، والثاني (رافي رمام) برتبة رائد ، والثالث ( رافي نوفتش) برتبة رائد أيضا ، والرابع يدعى ( أبو داود) برتبة رائد كذلك .

أجلسوني أمامهم ، وانهالوا علي بالأسئلة ، وكانوا يطرحون السؤال الثاني قبل أن أفرغ من الإجابة على السؤال الأول ، ويتكرر السؤال الواحد نحو خمسين مرة !تركزت أسئلتهم على الهروب الثاني ، والخلايا السرية .

وفيما يتعلق بالخلايا ، قلت لهم : لا أعرف أي خلية في الداخل ، وليس لي أدنى علاقة ، ولو كان لي لأعلنوا في إذاعة الثورة نبأ اعتقالي ليقوم أعضاء الخلايا التابعة لي بالنتشار ، وهذا هو التقليد المتبع في الثورة لدى اعتقال أي مسؤول.

والحقيقة أنني كنت متأكدا من ثقة المسؤولين بي وبحسن تصرفي ، وأنهم لذلك لم يعلنوا نبأ اعتقالي كالمعتاد ، وقام أبو جهاد المسؤول المباشر عني بتنبيه الإعلاميين إلى ضرورة عدم ذكر أي شيء عن اعتقالي وأن يكتفوا بما تعلنه الصحافة الإسرائيلية .وقلت للمحققين لإقناعهم بصدقي حول عدم معرفتي بأية خلية :أنتم بالتأكيد تسمعون إذاعة الثورة ، ولو كان لي أي علاقة مع الداخل لأعلنوا نبأ اعتقالي وطلبوا منهم الانتشار .

وعلى الرغم من أنهم كانوا يتظاهرون بعدم تصديقي ، فيبدو أنهم كانوا في قرارة أنفسهم مقتنعين بما قلته .

واستمر التحقيق معي لعدة شهور،كانوا يحققون معي كل يوم ولمدة ساعات طويلة ، وكان المحققون يتغيرون أحيانا فيتولى المهمة أشخاص غير السابقين ، لكن يبدو أن استمرار التحقيق بهذا الشكل المتواصل والمكثف كان الهدف الأساسي منه عدم إعطائي فرصة للنوم .ولم أكن أعرف إن كان الوقت ليلا أو نهارا،فالزنزانة كما ذكرت مضاءة باستمرار ، وكذلك الأمر في غرفة التحقيق ، وبين الزنزانة وغرفة التحقيق كانوا يأخذونني بعد وضع رأسي في كيس صغير له فتحات من الأعلى ، بحيث أتنفس ولا أرى شيئا ، وينزع الكيس عندما أدخل غرفة التحقيق ويتم إغلاق الباب .

أما الموضوع الثاني الذي أرهقوني به ، فهو كما ذكرت ، يتعلق بهروبي من المستشفى في غزة حيث كانوا جازمين بأنني ذهبت إلى قريتي عارة ويبدو أن لديهم بعض المعلومات عن ذلك .

ومن الطبيعي أن أكون قد التقيت أهلي إذا ذهبت إلى عارة ، فكانوا يركزون على ذلك كدليل على دقة معلوماتهم ، لكنني اكتشفت أن ذلك مجرد تصور واستنتاج ، لأنهم ذكروا لي أشخاصا وأنواعا من السيارات لم أشاهدهم ، ولا تعاملت مع تلك السيارات المزعومة ، لهذا تأكدت من عدم وجود معلومات حقيقية وأنهم يحاولون إيهامي بناء على تصوراتهم واجتهاداتهم .

أما ما رويته لهم ردا على هذا الموضوع ، فيتلخص في أنني حصلت على بطاقة مزورة ، وركبت سيارة إلى الضفة الغربية ومنها ذهبت إلى عمان ، بمساعدة زياد الغول وابن عمه كايد .واخترت هذين الاسمين لأن الأول استشهد عام 1970 م ، بينما كان الثاني في بيروت .

كان اعتقالي في 05/10/1971 ، وكان شاب يدعى (أبو روحي) اعتقل في شهر نيسان (أبريل) من نفس العام ، واعترف بأنني سلمته مبلغا من المال وكمية من السلاح ، وأعطيته كلمة السر لتسليم السلاح إلى مجموعة في الداخل.

علقت على ذلك بأم ما قاله ذلك المعتقل صحيح ولكن فعلت ذلك بناء على أوامر تلقيتها من (أبو جهاد)، واقتنع المحققون بأنني لا أعرف شيئا عن الخلية التي تسلمت الأسلحة .

أرهقني التحقيق كثيرا ، لكن أكثر ما أزعجني ، بل أفزعني هو ما قالوه بشأن اعتقال والدي ووالدتي وبعض الأصدقاء ممن ساعدوني في الهروب الثاني .قالوا لي : إنهم لم يعترفوا حتى الآن ، ولكننا نعرف كيف نجبرهم على الاعتراف .

ولدى عودتي إلى الزنزانة بعد هذه الجلسة ، سمعت صرخات شباب ورجال وأطفال ، وحاولت أن أتعرف على تلك الأصوات معتقدا أن تلك الصرخات صادرة عن أهلي وأصدقائي ، الأمر الذي جعلني لا أستطيع النوم ولا للحظة واحدة .

كنت قد عودت نفسي على مراجعة كل ما قلته خلال التحقيق ، عندما أعود إلى الزنزانة ، وأكرر لنفسي ما قلته حتى يترسخ في ذهني على أنه حقيقة ، حرصا على عدم وقوعي في روايات متناقضة.

لا أعرف كم مضى من الوقت حين استدعوني بعد سماع تلك الأصوات ، كما لم أعرف ما إذا كان الوقت ليلا أو نهارا ، وبتأثير صرخات الاسترحام والاستغاثة التي سمعتها ، لم أستطع التركيز في تفكيري استعدادا للجولة القادمة.

وفيما كان العسكري يقودني إلى غرفة التحقيق سمعت من المذياع خبرا عالميا عاديا ، ثم سمعت المذيع يقول : ( لقد ألقي القبض على عدد من الأشخاص المتهمين بمساعدة حمزة يونس على الهرب عام 1967 ، وهم من عارة ، عرعرة وغزة ) .

عندما سمعت ذلك تباطأت في السير، وتركني العسكري أتريث حتى انتهى الخبر ، وبدأ خبر آخر ، فاستأنفت المشي بصورة عادية إلى أن دخلت غرفة المحققين .

وهذه المرة لم أجد أمامي سوى محقق واحد .بدأ التحقيق بشكل عادي ودار حول الأسئلة السابقة المتكررة ، وفجأة تبسم المحقق وقال :

أريد أن أسمع منك قصة خروجك من غزة .فقلت اه : لقد رويت هذه القصة أكثر من مرة .ضحك المحقق وقال :أنت بطل ، لا تعترف، ولا نريد منك أن تعترف! لأننا سوف نروي لك ما حدث بالتفصيل .

تناول الهاتف ، وسأل من يهاتفه : هل انتهيت من التحقيق مع المتهمين بمساعدة حمزة يونس ؟ وسمعت الطرف الثاني يقول : ( كلهم اعترفوا بالتهمة المنسوبة إليهم ، ولكن هناك ثلاثة أشخاص لم أكتب أقوالهم بعد) رد المحقق قائلا : ( عندما تنتهي منهم أرسلهم إلي، لأن عندي شخصا عزيزا عليهم ، وهم بالتأكيد مشتاقون لرؤيته) !قال ذلك ووضع السماعة ، وقال لي وهو يبتسم :أنت مجنون ، وعدم اعترافك سبب لهم المتاعب ، ولنا أيضا! ولو اعترفت لأرحت واسترحت !أجبته بصوت حزين وخافت :لقد قلت الحقيقة ، وهم أحرار فيما يقولونه !

لم يستمر التركيز على هذا الموضوع ، بل راح المحقق يتحدث عن مواضيع أخرى، ويذكرني بين حين وآخر بما سببته لأهلي من متاعب ، وأنه يستطيع مساعدتي وتخفيف المعاناة عليهم إذا اعترفت بالحقيقة قبل أن يحضروا لمواجهتي !

كنت اعتقدت بأن المحقق صادق فيما يقول ، وأن أهلي معتقلون لديهم بالفعل، ولكن الوعد الذي قطعته على نفسي هو أن لا أجلب أحدا إلى السجن جعلني أصر على أقوالي .

بعد لف ودوران وتشعب في الحديث ، إعدت إلى الزنزانة دون أن أرى أحدا، وكلما كانوا يفتحون الزنزانة أتوقع أنهم سيأخذونني لمواجهة بعض من ذكروهم لي وزعموا أنهم معتقلون لديهم .واستمر هذا القلق إلى أن أحلت إلى المحكمة ، فتقابلت مع أهلي لأول مرة ، واتضح لي أنهم لم يعتقلوا ولم يسألهم أحد ، ولكنهم خلال هذه الفترة لاحظوا ازدياد عدد الغرباء المترددين على قريتنا ، ومنهم من كان يتعمد أن يلتقي مع والدي في الجامع ، ويحدثه عني في إعجاب ، قائلا بأنني رفعت رأس العرب كلهم وأنهم فخورون بي .كان والدي يتجاوب معهم لأنه يعرف أنهم جواسيس وأنهم جاءوا لمعرفة أخباري .

كنت خلال وجودي في القاهرة ، أرسلت رسالة إلى والدي أخبرته فيها بأنني أصبت إصابة بسيطة وأنني ولله الحمد بخير .أرسلت تلك الرسالة لأنني أعرف أن أية رسالة أرسلها إلى أهلي سيقومون بتصويرها قبل تسليمها إلى أهلي ، ويأتون في اليوم التالي لاستلام الرسالة منهم.

إذن تعمدت إرسال تلك الرسالة لنفي أية معلومات أو تصورات عن لقائي بوالدي ومعرفته بإصابتي ، وقد ساعدني ذلك في التحقيق ، وجعل المحققين يشكون في المعلومات التي وصلتهم عني .

ذات مرة أخذوني كالعادة من الزنزانة إلى غرفة التحقيق ، ةكان فيها أربعة محققين ، وحين جلست طلبوا قهوة للجميع بمن فيهم أنا ، وقدموا لي سيجارة وأشعلوها ، بعد ذلك سألوني عن الخلايا السرية ، فأعدت ما قلته سابقا فلم يعجبهم ذلك وقام أحدهم بنزع السيجارة مني وإطفائها في فنجان القهوة الذي قدموه لي !

نظرت إليه وقلت في صوت هادئ :شكرا ، فالسجائر تضر الصحة ، وأعدكم بأنني لن أدخن بعد الآن !

راحوا ينظرون إلى بعض ، وبالفعل فقد توقفت عن التدخين بعد ذلك رغم أنهم كانوا يقدمون لي أربع سجائر مع وجبة الإفطار .كنت أتركها ، واستمر ذلك لمدة شهر تقريبا .

وذات يوم ، وبينما كنت أمام المحققين ، وكان الموضوع مرة أخرى عن الخلايا السرية في الداخل ، وفجأة تقدم مني أحدهم وصفعني على رقبتي !

نظرت إليهم وقلت :تأكدوا من أنني أعرف عدة خلايا ، ةأكثر مما تتصورون ولكن عليكم أن تعرفوا أن الذي يمشي بالضرب هو الحمار ! وأنا مستعد لأن تستأنفوا تعذيبي من جديد ، ولن أذكر شيئا لأنني لست حمارا .

وخلال دقيقة خرج المحققون الأربعة ، ودخل مدير السجن وهو برتبة عميد ونائبه الذي يحمل نفس الرتبة .طرحوا تحيتهم العبرية المعروفة (شلوم) ، وطلبا مني أن أجلس على الأريكة قريبا منهم .قال مدير السجن :لقد اطلعت على التحقيق وأنا معجب بك ؛ولم تكن في يوم ما عنصرا عاديا ، سواء كنت مع المصريين أو مع فتح ، وما حصلت عليه من ترقيات وصلاحيات يعود إلى جهودك الشخصية رغم تنقلك في أماكن مختلفة ، أريد أن أتحدث معك ، وأرجو أن يكون الحديث بيننا صريحا ، ولك الحق في عدم الإجابة على أي سؤال لا يعجبك !

قال هذا ثم أخرج علبة سجائر وقدم لي سيجارة ، فامتنعت عن أخذها قائلا :شكرا ، لا أدخن !أعرف هذا ، وأعرف كيف حصل لكني لست محققا لأفعل مثلما فعلوا!أخذت السيجارة ورحت أدخن .كنت جالسا أمامه والحديد في قدميّ ،ولم يفكوه منذ الساعة الأولى لدخولي هذا السجن .

بدأ الحديث في السياسة ، وكان الموضوع يتعلق بالوحدة المقترحة بين سوريا، مصر وليبيا .سألني عما إذا كنت أعتقد بأن هذه الوحدة ستتحقق أم لا ، فقلت له:لا أعتقد ذلك ، لأننا في العالم العربي ، حيث يفكر ويقرر الرئيس منفردا ، كما أن الرؤساء الثلاثة مختلفون من حيث التقكير وطبيعة الشخصية !نظر إلى زميله وقال :ألم أقل لك من قبل : هذه الوحدة لم ترى النور !

ثم تطرق الحديث إلى المقاومة ، وما إذا كنا نعتقد فعلا بأننا سننتصر ونحرر فلسطين؟! قلت له :لا أعتقد بأننا نستطيع ذلك ، وعلى سبيل المثال فإن السبب المياشر لحرب 1967 م هو وجود المقاومة ، وسوف نعمل على دفع الأنظمة العربية إلى استمرار حالة الحرب !فقال: ولماذا تصرون على القتال وأنتم تعلمون أننا أقوى منكم كثيرا؟!

أجبته قائلا:لو هاجمك في بيتك مائة شخص ، ماذا تفعل ؟فأجابني: سأقاتلهم وأدافع عن بيتي حتى لو كنت أضعف منهم .فقلت : وهذا ما نفعله بالضبط

وتشعب الحديث في مواضيع مختلفة ، وحانت من مدير السجن التفاته إلى قدميّ، فرأى الدم ينزف منهما فقال:أعرف أن هذا الحديد يؤلمك وخصوصا في الليل عندما تنام وتتقلب!وهو كما أعلم في قدميك منذ شهور ، أضاف قائلا:سأطلب منهم فك الحديد ، والتوقف عن تعذيبك .فقلت له: شكرا ، علما بأنني لم أطلب ذلك!فقال: ألا يؤلمك هذا القيد؟!فقلت: بالطبع يؤلمني ، ولكن هذه هي الحرب ، أنا أسير لديكم ونحن أعداء.لو قابلت المحققين وأنا أحمل السلاح ، فماذا كنت سأفعل ؟ بالطبع كنت سأقتلهم، ولو أنكم أقدمتهم على قتلي الآن ، فلن أستغرب !

صمت لحظة وهو يتأملني ثم قال :أهكذا تنظر إلى الأمور ؟ خسارة أنك لست يهوديا !!

قلت لمدير السجن:ألا يكفيك أنني إسرائيلي كما وصفتني أكثر من مرة خلال حديثك ؟ضحك وقال: لست إسرائيليا عاديا ، بل أنت بطل إسرائيلي ( ربما كان يشير بذلك إلى بطولتي في الملاكمة والسباحة ).

أنهى المدير خديثه معي ، فأعادوني إلى الزنزانة،وبعد يومين فكوا القيد عن قدمي ، وخف العذاب ، كما خفف التعذيب وخاصة عملية تجريدي من الملابس أمام حشد من الشباب والشابات ، وكانوا يضعون رأسي في كيس حتى لا أرى، ولكنني كنت أسمع أصوات المتفرجين والمتفرجات وهم يصفون أعضاء جسمي ، ثم يصبون ماء ساخنا ويتركونني في الهواء البارد ، فأظل أرتجف حتى يجف جسمي.

كانت هذه العملية تضايقني نفسيا ، فارتحت لتوقفهم عنها أكثر مما ارتحت لإزالة الحديد عن قدمي .ومنذ ذلك اللقاء ، صاروا يقدمون لي علبة سجائر كاملة كل يوم.

واعترف بأنني أحببت ذلك الرجل لا لأنه خفف عني العذاب ، ورفع القيد ، ولا لأنه أكرمني بعلبة سجائر يوميا ، ولكن لأنني شعرت بأنه ليس وحشا، وليس عدائيا ، باختصار لم يكن ساديا مثل بعضهم .ربما كان سبب ذلك هو أن مدير السجن يهودي فلسطيني أي من مواليد فلسطين قبل قيام الدولة العبرية .

\* \* \*

الفصل السابع

جولة في السجون

بقيت في سجن صرفند مدة ثلاثة أشهر تقريبا ، ثم نقلت إلى قسم الشرطة ، ومنه إلى سجن الجلمة القريب من حيفا ، ثم إلى سجن عكا، ثم إلى سجن (أبو كبير) في تل أبيب ، ثم إلى سجن عسقلان الذي هربت منه سابقا .

كانوا ينقلونني بواسطة سيارات الشرطة المحروسة ، وفي حالة نقلي بواسطة باص السجن ، كنت الوحيد الذي يقيد بالحديد في قدميه .

وبينما كنت في سجن عسقلان مع عدد من المساجين في إحدى الغرف ، جاء بعض السجانين ومعهم ضابط .سأل ذلك الضابط عن حمزة يونس ، فأجبته (أنا) ، فقال : ضعوا الحديد في رجليه !حاولت الاستفسار عن هذا الإجراء ، فقال الضابط : ( أنت سجين غير عادي)!

بعد وضع الحديد في قدمي ، انصرف السجانون ، وأغلقوا باب الغرفة ، وإذا بالمساجين يتجمعون حولي ويسألونني :حقا أنت حمزة يونس ، المنقذ ، وبطل الملاكمة ؟هل أنت حمزة الذي هرب من ههذا السجن؟

عرفت أن بعضهم كان شاهدني على حلبة الملاكمة ، وأبدوا دهشتهم لما شاهدوا من تغيير في لياقتي البدنية وحالتي الصحية ، حيث كنت أزن حوالي سبعين كيلوغراما ، أما حمزة الذي يرونه الآن، فلا يزيد وزنه عن 50 كيلوغراما .

تكرر سؤال المساجين ( هل أنت حمزة يونس حقا )؟ هل أنت الذي هرب عام 1964 م ، هل أنت بطل الملاكمة ؟

كان بعض المساجين يعرفونني منذ كنت في سجن عسقلان قبل سبع سنوات، وحتى المساجين الجدد نسبيا كانوا يتحدثون عن هروبي بأدق التفاصيل ويذكرون ما نشرته الصحف عني وأسماء الشرطة الذين طردوا بسببي ، والذين جرحوا وأدخلوا إلى المستشفى .

وعلى الرغم من معرفتهم بالتفاصيل الكاملة لهروبي ، فقد كانوا يلحون علي في رواية القصة ولم أكن أتحمس لذلك ، لأنني كنت قلقا وخاصة بعد وضع الحديد حول قدمي .

في اليوم الثاني ، استدعيت إلى التحقيق ،وعندما وقفت أمام المحقق سألني:هل تذكرني؟فقلت: نعم أذكرك ..

كان هذا الشخص معي في كيبوتس (هاعوجن) ، وكان في شرطة عسقلان عندما هربت من السجن ، ولم يكن حاضرا في تلك الليلة ، يضاف إلى ذلك أنه كان صديقا لأخي الأكبر محمد .

قام المحقق وأغلق الباب بنفسه ، ثم صافحني بحرارة ، وقال مبررا إغلاق الباب:إن كثيرا من الشرطة يريدون أن يؤذوك لأنك السجين الوحيد الذس ترك بصماته على هذا السجن ، ولسنوات طويلة !

وأضاف قائلا:حقا أنك غير عادي ! حتى عندما كنت في الكيبوتس كنت تتصرف بكثير من الثقة. قال بعد هذه المقدمة :والآن أريد أن أسمع منك عن تلك الليلة التي لا تنسى !فقلت: أية ليلة تعني ؟!فأجاب: طبعا ليلة هربك ! مع العلم أنه لم يهرب من هذا السجن غيركم ( يقصد مكرم يونس ، وحافظ مصالحة ) ، كما لم يهرب بعدكم أحد . كان يريد أن يعرف كيف استطعنا أن نفتح أبواب غرفة السجن التي كنا فيها ، وأضاف قائلا:هذا ليس إلا لإغلاق ملف الهروب . وفجأة دخل شرطي ضخم الجثة ، وسألني عن زميلي الملاكم الشاب، ولمحت الغضب في عينيه ، فأجبته : هو في مصر ، فقال : هذا الذي أريد أن أراه لأعلمه كيف يضرب ويهرب ! بعد انصراف الشرطي سألني المحقق:ألست الملاكم المقصود ؟فقلت: ولماذا يسأل؟فقال : لأنه ممن عوقبوا لعدم استعمال السلاح ! عرفت بعد أيام ، أن الهدف من أخذي إلى سجن عسقلان هو أن أقوم بتمثيل كيفية الهرب ، لغلق الملف . فوجئت ذات يوم أثناء مروري بين العنابر ، بسجين يصرخ وبشتمني ، فسألت من هذا ، ولماذا يشتم ؟ أجاب ذلك السجين قائلا :ألم تعرفني ، أنا هنا بسببك منذ هروبك عام 1964 م ، وعندئذ تذكرته ، وقلت له ساخرا :تستأهل لأنك لم تهرب معنا كما اتفقنا ! إنه السجين اليهودي (شلومو) الذي طلبنا منه أن يدق الباب ليأتي الحارس ويفتح .. كان يعلم بأننا سنهرب ، وساعدنا لكنه لم يهرب معنا .وكما ذكرت سابقا فإن كل المساجين الذين كانوا في السجن معنا ، عوقبوا بعد هروبنا بإضافة ستة شهور إلى عقوبتهم المقررة ، بسبب عدم التبليغ عنا . نقلت إلى سجن الرملة – قسم الموقوفين – وفي يوم 31/01/1972، قدمت إلى محكمة اللد ، وهناك التقيت زملائي الذين كانوا معي في الزورق عند أسرنا. كانت المحاكمة شكلية ، وقصيرة ، ولم أتكلم في المحكمة مطلقا ، وحسب الشكليات القانونية، كلفت المحكمة أحد المحامين بالدفاع عنا ، لكن لم نره إلا يوم المحاكمة ، لهذا رفضت أن يدافع عني . ودون أية مرافعة ، وفي أقل من نصف ساعة ، أصدرت المحكمة حكما بالسجن المؤبد علي، وعلى وليد حطيني ، وزياد ، أما وائل الذي كان عمره آنذاك ستة عشر عاما ، فقد حكم بالحبس لمدة خمس وعشرين سنة . التقيت في المحكمة يوم الجلسة بأهلي،و كان معهم بعض الجرائد التي كتبت عني ، ومنها جريدة (معاريف) التي كتبت في 25/10/1971 : ( ألقي القبض على مجموعة من المخربين في عرض البحر، وهذه المجموعة من الضفادع البشرية ، وتعتبر من أخطر الخلايا على إسرائيل ، يقودها ملاكم ناجح هو حمزة يونس ، الذي سبق أن هرب من سجن عسقلان بعد إلقاء القبض عليه بتهمة التعامل مع المخابرات المصرية .وكان هذا الملاكم سافر ضمن منتخب بيطار إسرائيل إلى اليونان عام 1963 ، وكلف من طرف المخابرات المصرية بمراقبة حافظ مصالحة ، وعندما دخل سجن عسقلان وجده هناك ، وعمل حمزة على تهريبه مع ابن عمه مكرم يونس الذي ألقي القبض عليه بالتهمة نفسها). قبل صدور الحكم ، كان المحامي قد لجأ إلى والدي لإقناعي بالاعتذار عما فعلته ، لكنني رفضت، فأصدرت المحكمة أحكامها المذكورة في حقنا . بعد صدور الحكم ، تقدم عدد من الصحفيين وسألوني : ( كيف كنت بطلا مرموقا ، وتحولت إلى سجين قد يموت قبل أن يرى الشمس )؟! ضحكت ورددت عليهم قائلا :إن القاضي لم يستشيرني قبل إصدار الحكم ، لهذا أنا غير مسؤول عما قال ! وإنني أقول لكم سأبقى في السجن لمدى سنتين فقط؛ وهذا الكلام أنا مسؤول انه! ضحك الصحفيون وقالوا : (حمزة يحلم ) ! في اليوم التالي نشرت جريدة معاريف خبر صدور الحكم في حقي وحق زملائي ، ونشرت في العدد نفسه خبر استشهاد ابن عمي عصام سليمان يونس وكان ضابطا برتبة نقيب في فتح ، وهو من أصغر الضباط وأكثرهم شجاعة ، وأقدرهم على تنفيذ العمليات داخل الأرض المحتلة .كان عصام التحق بالثورة بعد هزيمة 1967 م ، وتلقى عدة دورات تدريب في الصين ، مصر والجزائر .ومن أبرز العمليات التي نفذها عملية تفجير مصنع شركة فورد في مدينة الناصرة ، ثم استشهد في حادثة غامضة في جنوب لبنان . آلمني خبر استشهاد عصام كثيرا ، ولفت انتباهي أن معاريف تعمدت في ما يبدو أن تربط خبر وفاته ، بخبر صدور الحكم علي ، بقصد التشكيك ! أذكر هنا أنني سمعت من النزلاء خلال جولتي بين السجون ، أن المخابرات الإسرائيلية روجت إشاعة مفادها ( أن دوريتهم التي أسرتنا ، كانت تناديني بمكبر الصوت قائلة : حمزة يونس ، سلم نفسك) ، علما بأن الظلام كان دامسا ، وأن مداهمتنا كانت بطريق الصدفة ، ولم يعرفني أحد ممن قاموا بأسرنا . اندهشت لما سمعت حول هذه الحكاية المفبركة لأسباب تشكيكية ، ونفيت ذلك بشدة لمن سألني عنها .وأشير هنا إلى أن لدى كثير من الناس حتى في صفوف المقاومة قابلية لتصديق الإشاعات والأكاذيب التي تروجها المخابرات الإسرائيلية عن طريق عملائها بقصد التشكيك والتشويه ، على الرغم من عدم منطقية تلك الإشاعات .من ذلك أنه كان يتردد عند نجاحي في الهرب ، أن الهروب من تدبير المخابرات الإسرائيلية .وكان بعضهم خصوصا ممن لا يعرفونني ولا يعرفون شيئا عن عملياتي ، يصدق الإشاعة ويساهم في ترويجها ، ومعلوم أن الإشاعات طالت حتى بعض الأسماء القيادية وما يزال هناك من يرددها دون تأمل أو تحفظ !

انت هذه العملية تضايقني نفسيا ، فارتحت لتوقفهم عنها أكثر مما ارتحت لإزالة الحديد عن قدمي .**

**ومنذ ذلك اللقاء ، صاروا يقدمون لي علبة سجائر كاملة كل يوم .**

**واعترف بأنني أحببت ذلك الرجل لا لأنه خفف عني العذاب ، ورفع القيد ، ولا لأنه أكرمني بعلبة سجائر يوميا ، ولكن لأنني شعرت بأنه ليس وحشا، وليس عدائيا ، باختصار لم يكن ساديا مثل بعضهم .**

**ربما كان سبب ذلك هو أن مدير السجن يهودي فلسطيني أي من مواليد فلسطين قبل قيام الدولة العبرية .**

**\* \* \***

**الفصل السابع**

**جولة في السجون**

**بقيت في سجن صرفند مدة ثلاثة أشهر تقريبا ، ثم نقلت إلى قسم الشرطة ، ومنه إلى سجن الجلمة القريب من حيفا ، ثم إلى سجن عكا، ثم إلى سجن (أبو كبير) في تل أبيب ، ثم إلى سجن عسقلان الذي هربت منه سابقا .**

**كانوا ينقلونني بواسطة سيارات الشرطة المحروسة ، وفي حالة نقلي بواسطة باص السجن ، كنت الوحيد الذي يقيد بالحديد في قدميه .**

**وبينما كنت في سجن عسقلان مع عدد من المساجين في إحدى الغرف ، جاء بعض السجانين ومعهم ضابط .**

**سأل ذلك الضابط عن حمزة يونس ، فأجبته (أنا) ، فقال : ضعوا الحديد في رجليه !**

**حاولت الاستفسار عن هذا الإجراء ، فقال الضابط : ( أنت سجين غير عادي)!**

**بعد وضع الحديد في قدمي ، انصرف السجانون ، وأغلقوا باب الغرفة ، وإذا بالمساجين يتجمعون حولي ويسألونني :**

**حقا أنت حمزة يونس ، المنقذ ، وبطل الملاكمة ؟**

**هل أنت حمزة الذي هرب من ههذا السجن؟**

**عرفت أن بعضهم كان شاهدني على حلبة الملاكمة ، وأبدوا دهشتهم لما شاهدوا من تغيير في لياقتي البدنية وحالتي الصحية ، حيث كنت أزن حوالي سبعين كيلوغراما ، أما حمزة الذي يرونه الآن، فلا يزيد وزنه عن 50 كيلوغراما .**

**تكرر سؤال المساجين ( هل أنت حمزة يونس حقا )؟ هل أنت الذي هرب عام 1964 م ، هل أنت بطل الملاكمة ؟**

**كان بعض المساجين يعرفونني منذ كنت في سجن عسقلان قبل سبع سنوات، وحتى المساجين الجدد نسبيا كانوا يتحدثون عن هروبي بأدق التفاصيل ويذكرون ما نشرته الصحف عني وأسماء الشرطة الذين طردوا بسببي ، والذين جرحوا وأدخلوا إلى المستشفى .**

**وعلى الرغم من معرفتهم بالتفاصيل الكاملة لهروبي ، فقد كانوا يلحون علي في رواية القصة ولم أكن أتحمس لذلك ، لأنني كنت قلقا وخاصة بعد وضع الحديد حول قدمي .**

**في اليوم الثاني ، استدعيت إلى التحقيق ،وعندما وقفت أمام المحقق سألني :**

**هل تذكرني؟**

**فقلت: نعم أذكرك ..**

**كان هذا الشخص معي في كيبوتس (هاعوجن) ، وكان في شرطة عسقلان عندما هربت من السجن ، ولم يكن حاضرا في تلك الليلة ، يضاف إلى ذلك أنه كان صديقا لأخي الأكبر محمد .**

**قام المحقق وأغلق الباب بنفسه ، ثم صافحني بحرارة ، وقال مبررا إغلاق الباب:**

**إن كثيرا من الشرطة يريدون أن يؤذوك لأنك السجين الوحيد الذس ترك بصماته على هذا السجن ، ولسنوات طويلة !**

**وأضاف قائلا:**

**حقا أنك غير عادي ! حتى عندما كنت في الكيبوتس كنت تتصرف بكثير من الثقة.**

**قال بعد هذه المقدمة :**

**والآن أريد أن أسمع منك عن تلك الليلة التي لا تنسى !**

**فقلت: أية ليلة تعني ؟!**

**فأجاب: طبعا ليلة هربك ! مع العلم أنه لم يهرب من هذا السجن غيركم ( يقصد مكرم يونس ، وحافظ مصالحة ) ، كما لم يهرب بعدكم أحد .**

**كان يريد أن يعرف كيف استطعنا أن نفتح أبواب غرفة السجن التي كنا فيها ، وأضاف قائلا:**

**هذا ليس إلا لإغلاق ملف الهروب .**

**وفجأة دخل شرطي ضخم الجثة ، وسألني عن زميلي الملاكم الشاب، ولمحت الغضب في عينيه ، فأجبته : هو في مصر ، فقال : هذا الذي أريد أن أراه لأعلمه كيف يضرب ويهرب !**

**بعد انصراف الشرطي سألني المحقق:**

**ألست الملاكم المقصود ؟**

**فقلت: ولماذا يسأل؟**

**فقال : لأنه ممن عوقبوا لعدم استعمال السلاح !**

**عرفت بعد أيام ، أن الهدف من أخذي إلى سجن عسقلان هو أن أقوم بتمثيل كيفية الهرب ، لغلق الملف .**

**فوجئت ذات يوم أثناء مروري بين العنابر ، بسجين يصرخ وبشتمني ، فسألت من هذا ، ولماذا يشتم ؟**

**أجاب ذلك السجين قائلا :**

**ألم تعرفني ، أنا هنا بسببك منذ هروبك عام 1964 م ، وعندئذ تذكرته ، وقلت له ساخرا :**

**تستأهل لأنك لم تهرب معنا كما اتفقنا !**

**إنه السجين اليهودي (شلومو) الذي طلبنا منه أن يدق الباب ليأتي الحارس ويفتح .. كان يعلم بأننا سنهرب ، وساعدنا لكنه لم يهرب معنا .**

**وكما ذكرت سابقا فإن كل المساجين الذين كانوا في السجن معنا ، عوقبوا بعد هروبنا بإضافة ستة شهور إلى عقوبتهم المقررة ، بسبب عدم التبليغ عنا .**

**نقلت إلى سجن الرملة – قسم الموقوفين – وفي يوم 31/01/1972، قدمت إلى محكمة اللد ، وهناك التقيت زملائي الذين كانوا معي في الزورق عند أسرنا.**

**كانت المحاكمة شكلية ، وقصيرة ، ولم أتكلم في المحكمة مطلقا ، وحسب الشكليات القانونية، كلفت المحكمة أحد المحامين بالدفاع عنا ، لكن لم نره إلا يوم المحاكمة ، لهذا رفضت أن يدافع عني .**

**ودون أية مرافعة ، وفي أقل من نصف ساعة ، أصدرت المحكمة حكما بالسجن المؤبد علي، وعلى وليد حطيني ، وزياد ، أما وائل الذي كان عمره آنذاك ستة عشر عاما ، فقد حكم بالحبس لمدة خمس وعشرين سنة .**

**التقيت في المحكمة يوم الجلسة بأهلي،و كان معهم بعض الجرائد التي كتبت عني ، ومنها جريدة (معاريف) التي كتبت في 25/10/1971 :**

**( ألقي القبض على مجموعة من المخربين في عرض البحر، وهذه المجموعة من الضفادع البشرية ، وتعتبر من أخطر الخلايا على إسرائيل ، يقودها ملاكم ناجح هو حمزة يونس ، الذي سبق أن هرب من سجن عسقلان بعد إلقاء القبض عليه بتهمة التعامل مع المخابرات المصرية .**

**وكان هذا الملاكم سافر ضمن منتخب بيطار إسرائيل إلى اليونان عام 1963 ، وكلف من طرف المخابرات المصرية بمراقبة حافظ مصالحة ، وعندما دخل سجن عسقلان وجده هناك ، وعمل حمزة على تهريبه مع ابن عمه مكرم يونس الذي ألقي القبض عليه بالتهمة نفسها).**

**قبل صدور الحكم ، كان المحامي قد لجأ إلى والدي لإقناعي بالاعتذار عما فعلته ، لكنني رفضت، فأصدرت المحكمة أحكامها المذكورة في حقنا .**

**بعد صدور الحكم ، تقدم عدد من الصحفيين وسألوني : ( كيف كنت بطلا مرموقا ، وتحولت إلى سجين قد يموت قبل أن يرى الشمس )؟!**

**ضحكت ورددت عليهم قائلا :**

**إن القاضي لم يستشيرني قبل إصدار الحكم ، لهذا أنا غير مسؤول عما قال ! وإنني أقول لكم سأبقى في السجن لمدى سنتين فقط؛ وهذا الكلام أنا مسؤول انه!**

**ضحك الصحفيون وقالوا : (حمزة يحلم ) !**

**في اليوم التالي نشرت جريدة معاريف خبر صدور الحكم في حقي وحق زملائي ، ونشرت في العدد نفسه خبر استشهاد ابن عمي عصام سليمان يونس وكان ضابطا برتبة نقيب في فتح ، وهو من أصغر الضباط وأكثرهم شجاعة ، وأقدرهم على تنفيذ العمليات داخل الأرض المحتلة .**

**كان عصام التحق بالثورة بعد هزيمة 1967 م ، وتلقى عدة دورات تدريب في الصين ، مصر والجزائر .**

**ومن أبرز العمليات التي نفذها عملية تفجير مصنع شركة فورد في مدينة الناصرة ، ثم استشهد في حادثة غامضة في جنوب لبنان .**

**آلمني خبر استشهاد عصام كثيرا ، ولفت انتباهي أن معاريف تعمدت في ما يبدو أن تربط خبر وفاته ، بخبر صدور الحكم علي ، بقصد التشكيك !**

**أذكر هنا أنني سمعت من النزلاء خلال جولتي بين السجون ، أن المخابرات الإسرائيلية روجت إشاعة مفادها ( أن دوريتهم التي أسرتنا ، كانت تناديني بمكبر الصوت قائلة : حمزة يونس ، سلم نفسك) ، علما بأن الظلام كان دامسا ، وأن مداهمتنا كانت بطريق الصدفة ، ولم يعرفني أحد ممن قاموا بأسرنا .**

**اندهشت لما سمعت حول هذه الحكاية المفبركة لأسباب تشكيكية ، ونفيت ذلك بشدة لمن سألني عنها .**

**وأشير هنا إلى أن لدى كثير من الناس حتى في صفوف المقاومة قابلية لتصديق الإشاعات والأكاذيب التي تروجها المخابرات الإسرائيلية عن طريق عملائها بقصد التشكيك والتشويه ، على الرغم من عدم منطقية تلك الإشاعات .**

**من ذلك أنه كان يتردد عند نجاحي في الهرب ، أن الهروب من تدبير المخابرات الإسرائيلية .**

**وكان بعضهم خصوصا ممن لا يعرفونني ولا يعرفون شيئا عن عملياتي ، يصدق الإشاعة ويساهم في ترويجها ، ومعلوم أن الإشاعات طالت حتى بعض الأسماء القيادية وما يزال هناك من يرددها دون تأمل أو تحفظ !**

**الفصل الثامن 1 الهروب من سجن الرملة**

**بعد صدور الحكم تمت إعادتي إلى سجن الرملة المركزي، ويمتاز هذا السجن الذي بناه الإنجليز خلال الانتداب البريطاني ، وأدخلت إسرائيل عليه بعض الإضافات ، بأنه أكبر سجون إسرائيل وأكثرها تحصينا،ولم يسبق أن هرب منه أحد ، وهو مخصص للمحكومين مددا طويلة .**

**ينقسم سجن الرملة إلى ستة أقسام ، أولها خاص بالموقوفين الذين لم يقدموا إلى المحكمة بعد ، وثانيها قسم الغرف الانفرادية والزنزانات ، أما الثالث فهو خاص بالنساء ، والقسم الرابع خاص بالمجانين ، ويشمل مستشفى لجميع المرضى من المساجين ، والخامس خاص بأهالي القدس العربية ، أما القسم السادس فهو القسم العام ، وكنت أنا في هذا القسم الأخير .**

**بعد فترة وجودي في السجن تشاجرت مع مديره ، وهو يهودي روماني اسمه (الياس) ، كان حاقدا ، شرسا ، ومتغطرسا ، شديد البطش .**

**حدث الشجار بيني وبينه في غرفة الطعام أمام المساجين . صرخ المدير بصوت عال موجها كلامه إلي بالذات مهددا ومتوعدا وقال حرفيا: عليكم أن تكونوا مطيعين لي ، ( واعلموا أن الله لن يخرجكم من هذا السجن إلا بأمري ) !**

**فرددت عليه أمام السجناء قائلا : أنا سأخرج من هذا السجن بعد سنتين ودون أمرك !**

**شعرت بنوع من الغبطة عندما كفر وتطاول على المولى عز وجل ! وعندما رددت عليه ، تضاحك وقال : انظروا ... هذا مجنون آخر يفكر بأنه سيخرج دون أمري !**

**كنت في الغرفة رقم 16 مع اثني عشر سجينا ، أغلبهم سجناء أمنيون ، وكانوا شبابا لطيفين ومؤدبين . لاحظوا أنني أظل مستيقظا أدخن حتى ساعة متأخرة من الليل ، رغم أنهم كانوا يلزموننا بالاستيقاظ على الساعة السادسة صباحا ، حيث يقومون بالإحصاء الأول ، ثم نذهب إلى غرفة الطعام للإفطار ، ثم نستعد للذهاب إلى العمل . شعرت بأن زملائي يشفقون علي ، ويريدون مني أن أتخلص من الأرق والقلق ، لأنام مثلهم ، حتى أن بعضهم قال لي : إن كنت تفكر في الهرب فعليك أن تنسى ذلك تماما ، لقد فكرنا هذا قبلك بكثير ، ونحن أقوى منك وأقدر على الحركة ، ونعرف السجن والسجانين أكثر منك ، لكننا يئسنا من هذا التفكير وتركناه لأنه لا يوجد بصيص أمل في إمكانية نجاحه، وإن كنت نجحت في الهرب مرتين ، فذلك لم يكن من سجن الرملة المركزي !فرددت عليه قائلا :**

**ليس على الأرض قوة كاملة ، فالكمال لله وحده ، لهذا لا بد أن يكون لهذا السجن نقاط ضعف ، وعلي أن أكتشفها خلال سنتين! وإمعانا في التحدي وتأكيدا لثقتي في ما قلته ، وعدتهم بأن أعطيهم علبة سجائر كل يوم بعد مرور السنتين !**

**كانوا يسمعون كلامي ويأخذونه على محمل التسلية والهزل .**

**تعرفت خلال فترة قصيرة على معظم المساجين من عرب ويهود ، وكان عددهم مائة وثمانين شخصا .**

**كان عدد المساجين في الأقسام الستة يبلغ ستمائة سجين ، أما العاملون في السجن من سجانين وإداريين وعمال وممرضين ، فكان عددهم ثلاثمائة شخص.**

**لاحظت أن معظم السجناء كانوا من المتعلمين وكانوا ظرفاء ، حتى المساجين اليهود الذين تطلق عليهم الشرطة وأجهزة الإعلام (العالم السفلي) ، وأصحاب العصابات ، كانوا ظرفاء أيضا ، ونستطيع التعامل معهم ، ولا سيما أصحاب الجرائم الكبيرة كسرقة البنوك ، والعصابات المسلحة .**

**ونظرا لكثرة المساجين ، وضيق المساحة ،كان من الصعب أن أجلس وحدي، فلا بد من حضور بعض الزملاء لمحادثتي . ولم أجد أمامي فرصة للاختلاء بنفسي ، إلا فترة عرض الفيلم السينمائي الذي يقدم مرة كل أسبوعين في ساحة السجن . هذه الفرصة تستقطب معظم المساجين ، الأمر الذي يسمح لي بأن أجلس في الغرفة وحيدا لمدة ساعتين ، أستطيع خلالها أن أرسم خريطة السجن دون أن يراني أحد .**

**كنت أرسم أجزاءه ، وأعيد تقسيمه باحثا عن نقطة الضعف المجهولة فيه .**

**توالى مرور الأيام والشهور ، وأنا أراوح مكاني دون أن أتقدم خطوة واحدة نحو خطة الهرب .**

**والسؤال الذي كان يلح علي ويزعجني هو : ماذا سيقولون عني إذا مرت السنتان دون أن أهرب؟!**

**كان الوفاء بوعدي يشدني أكثر من الفوز بحريتي ! كنت أفلسف الأمور على طريقتي الخاصة ، فأقول لنفسي : لقد وقعت في الأسر نتيجة خطأ ، وأضعف الأيمان أن أحاول تصحيح الخطأ بالهروب من السجن .**

**وضمن تأملاتي الفلسفية أو المتفلسفة ، كنت أقول : إن الذي بنى هذا السجن شخص عادي ، لكنه حصل على ما يلزمه للبناء ، أما التحريب فيحتاج إلى إمكانيات أقل ، إذن يمكنني أن أتفوق على من بنى هذا السجن بقدراتي العقلية دون أن أحتاج إلا إلى أشياء بسيطة جدا ، وأخلص من هذه الخواطر إلى السؤال الكبير : كيف أهرب ؟!**

**ذات يوم هرب أحد المساجين الأمنيين من قاعة المحكمة ، وهو جمال سلطان من قرية الطيرة الواقعة في المثلث الشمالي ، إلا أنهم تمكنوا من إلقاء القبض عليه في اليوم التالي من هروبه . وعرفنا أن فشله يعود إلى أخطاء ارتكبها خلال هروبه ،منها أنه طلب بعض الطعام والماء من أحد البيوت ! وقد لامه المساجين وقالوا له : ما دمت قد فكرت في الهرب فكان عليك أن تستشير حمزة يونس .**

**ذات يوم قامت القوات الإسرائيلية بالتعاون مع ( حرس الحدود ) في تمرين احتياطي شمل مهاجمة السجن ، فانطلقت صفارات الإنذار، ودخلوا السجن وأمروا المساجين بالدخول إلى غرفهم ، ملوحين بالعصي والهراوات والأسلحة، ثم قاموا بإحصاءالمساجين ، واعتقدنا أن هناك محاولة هرب بالفعل. كنت آنذاك في نادي السجن حيث أغلقوا الباب علينا ، الأمر الذي جعل المساجين يعتقدون أن الذي هرب لا بد أن يكون حمزة .**

**هذه النظرة إلي كانت تزيد من عزيمتي وتصميمي ، وكنت فخورا بثقة المساجين في قدراتي ، كما أن المعاملة الاستفزازية التي كانت تمارسها علينا إدارة السجن ، ووصفها لنا بأننا جبناء ولا قدرة لنا على التخطيط ، ولم يكونوا يخصون المساجين بهذا الوصف بل كانوا يطلقونه على العرب جميعا في سياق النغمة التي ظل يرددها الإعلام الإسرائيلي إلى أن نشبت حرب رمضان عام 1973 م . هذه النظرة المتحاملة وتلك المعاملة الاستفزازية التي كانت تنتقص من رجولتنا وقدراتنا العقلية ، زادتني تصميما على مواجهة التحدي ، والقيام بالهرب حين تسمح الفرصة المناسبة .**

**وقد خطر في بالي أن أقسم أمام المساجين أنني سأهرب في تاريخ محدد أعلنه لهم ، كما فعلت في الهروب الأول عام 1964 ، حيث أقسمت لزملائي بأنني سأنام تلك الليلة في غزة ، أو في المستشفى ، أو في القبر ، ولن أنام في السجن. كما ذكرت في حينه ، كان ذلك القسم من أقوى الدوافع التي جعلتني أقدم على الهرب دون تردد . والآن أحتاج فقط إلى بارقة أمل دون أي اعتبار لنسبة النجاح في المغامرة التي سوف أقدم عليها ؛ فقد صرت عصبيا في التعامل مع زملائي بسبب ما أعانيه من ضيق، ولأنني لم أتوصل بعد إلى معرفة نقاط الضعف التي أبحث عنها لوضع خطة الهرب على أساسها .**

**استمر هذا الحال معي إلى 06/10/1973 ، وكان هذا اليوم عيد الصيام أو الغفران عند اليهود . وبينما كنا في غرفنا رأينا سيارات الإسعاف تدخل السجن ، فيما راح السجانون يدخلون الغرف طالبين من المساجين التبرع بالدم. ولاحظنا أنهم قاموا بتشديد الحراسة ، وبخاصة على أبراج المراقبة ، ولم نكت نعرف سبب ما يحدث أمامنا ، وكان المذياع مغلقا بسبب يوم الصيام ، واستمر إغلاقه عدة أيام ، مما جعلنا متشوقين إلى معرفة ما دار ويدور !**

**كانوا يقدمون على غلق المذياع عادة حين تجري أحداث أو عمليات لها علاقة بالمساجين مثل عملية ميونخ ، وخطف طائرة سافينا ، وكلتا العمليتين كان هدفهما إخراج المساجين .**

**وبدأت الأخبار تتسرب لنا من مصادر مختلفة ، وعرفنا أن الحرب قد اندلعت مع سوريا ومصر ، وكنا نشاهد بوضوح علامات الحزن والبؤس على وجوه السجانين . وقد تعودنا على استشفاف الأحوال والأخبار مما يبدو على وجوههم في كل المناسبات، فإذا رأيناهم يضحكون ، شعرنا بأن هناك خبرا سيئا بالنسبة إلينا كعرب ، أما إذا رأيناهم مكتئبين – كما هو حالهم اليوم – فقد كنا نضحك مدركين أن هناك خبرا مفرحا . ومن الطبيعي أن ما كان يسرهم يحزننا ، وأن ما كان يحزنهم يسرنا .**

**استمرت الحالة غير المعتادة في السجن حيث تواصل إغلاق المذياع إلى اليوم الثالث من الحرب ، وبلغنا أن المصريين عبروا قناة السويس ، وأن السوريين توغلوا في الجولان وجبل الشيخ .**

**بعد ذلك سمح للأهالي بزيارة المساجين فعرفنا منهم ما حدث بصورة أدق وأكثر تفصيلا ، وعاد المذياع يعمل من جديد ، وصار في وسعنا متابعة أخبار الحرب ولكن من المصادر الإسرائيلية فقط . كانت فرحتنا غامرة عندما عرفنا بوجود أسرى من اليهود لدى العرب ؛ لأن هذا يعني بالنسبة إلينا إمكانية حدوث تبادل قد يشملنا . ولكننا تألمنا كثيرا عندما شاهدنا في الصحف الإسرائيلية صورا للأسرى اليهود وهم يزورون الأهرام والقناطر الخيرية ولم يمض على وجودهم في السجن إلا أسابيع قليلة . هذا الكرم العربي الزائد كان في نظرنا عملا سيئا لأننا منذ دخول سجونهم نتعرض للتعذيب والإذلال !**

**رحنا نتساءل : هل ستشملنا مبادلات الأسرى ، وخاصة نحن عرب 1948 ، الذين يعتبرون عربا لدى إسرائيل ، وإسرائيليين لدى العرب !**

**والحقيقة أننا في قرارة أنفسنا كنا نستبعد أن تشملنا المبادلات ؛ لأننا نتذكر أنه عندما احتجز الفدائيون عددا من الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ ، وطالبوا بالإفراج عن 225 سجينا ، لم يرد بينهم أي واحد من عرب 1948 ، علما بأن تلك العملية قام بها من ننتمي إليهم في المقاومة الفلسطينية ، وعلى الرغم من ذلك كنا نميل إلى تصديق احتمال أن نكون ضمن المبادلات .**

**لقد تمنينا أن نكون مخطئين في تقديرنا للمسألة في ضوء ما نعرفه من حقائق أو وقائع ، وأن تصدق الإشاعات التي لم يكن يدعمها أي دليل !**

**تذكرنا ما حدث عام 1967 ، عندما بث اليهود إشاعات تزعم بأن عرب 1948 شاركوا في احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأن فلانا من الضفة تعرف على قريبه فلان الضابط الكبير في الجيش الإسرائيلي ، وأن فلانا وبناته شاركوا في الحرب كاليهود واليهوديات.**

**وقت ذاك كنت في غزة وأذكر أن كثيرين من السذج صدقوا تلك الإشاعات ، لأن الإعلام العربي لم يتصد لها بالتكذيب والتفنيد ، بل لم يقدم أية حقيقة عن موقف عرب 1948 ، علما بأن ما كان يقال في الإعلام الإسرائيلي بصورة واضحة هو أن العرب في إسرائيل شوكة في حلق دولتهم ، ويجب خلعها أو كسرها ، إضافة إلى الوصف اليهودي المعروف بأن هؤلاء العرب قنبلة زمنية موقوتة . رغم هذه النظرة السائدة تجاه عرب الأرض المحتلة في العمق ، فإن الإعلام العربي لم يفند الإشاعات الكاذبة التي ترددت خلال حرب 1967 .**

**بعد أيام عديدة ، انتهت حالة الطوارئ في السجن وفتحت أبواب الغرف كالمعتاد . حدث أن تقدم مني سجين يهودي شاب كان قد اشتبك مع الشرطة ، فصار يبدي كراهية شديدة لإدارة السجن والشرطة . طلب ذلك الشاب مني أن نمشي معا في ساحة السجن ، وخلال المشي قال لي : هل لديك استعداد لأن تتعاون في الهرب ؟ فأجبته مطمئنا لصدقه: طبعا لا مانع لدي ! ولاكن نتعاون لوحدنا ؟ فأجاب: لا ، يوجد معنا ثلاثة . سألته عن أسمائهم فذكرهم لي ، فشعرت بالاطمئنان إليهم أيضا وقلت : لكن يجب أن أعرف مقدما تفاصيل خطة الهرب .**

**وافق ذلك الشاب واسمه (إيتان حيا ) وشرح الخطة ، فعلقت عليها قائلا : إنها مجازفة خطيرة ، ولكن نسبة النجاح لا بأس بها .**

**بعد ذلك كنا نجلس مع بعضنا كثيرا ، وضاعفت فترة ممارسة الرياضة ، وخاصة الجري . ومضى على ذلك أسبوعان ، وبينما كنت وحدي في النادي وأمامي رقعة الشطرنج ، رأيت سجينا عربيا اسمه عبد الرحمان كرمان ، وهو متهم بالتعاون مع المخابرات المصرية وبأنه زود المصريين بتصاميم خط بارليف .**

**رأيته قادما نحوي ، وعندما وصلني سحب رقعة الشطرنج وأزاحها من أمامي وقال: أعرف أنك لا تفكر في الشطرنج بل في خطة الهرب ! فقلت له مبتسما: أرجو أن لا تخبر إدارة السجن! فقال: لا أستطيع إخبار الإدارة لأنني لا أعرف الخطة!**

**وأضاف قائلا: لن أفعل ذلك لأنني أفكر في الهرب أيضا ، وخطتي أفضل من خطتك! فقلت: كيف حكمت بذلك وأنت لا تعرف خطتي ؟!**

**كنا نتحدث ونضحك دون أن أعطي الحوار أية أهمية،وعدت إلى رقعة الشطرنج ، فتناولها مرة أخرى وقال : أنا أحدثك بجدية ، وعندي خطة مضمونة ، لكن أريد أن أعرف هل لديك استعداد للهرب ؟ فقلت: بالطبع عندي،وأعتقد أنه لا يوجد سجين محكوم عليه بالمربد لا يفكر في ذلك .**

**عندما شرح لي خطته وجدتها مستحيلة ، وكانت تسمح بهروب شخص واحد فقط . تتلخص خطته في أن يقطع هو التيار الكهربائي بواسطة ماس ، على أن أكون في تلك اللحظة في ساحة السجن ، وينبغي أن أتسلق ثلاث طوابق في سبع ثواني الوصول إلى السطح ؟ لأن المصابيح في الداخل ستضاء بواسطة المولد الاحتياطي الذي يعمل آليا فور انقطاع الكهرباء ، ومدة الانقطاع هي سبع ثواني فقط ، أما المصابيح الخارجية القوية الإضاءة ، فستضاء بعد دقيقتين ، وعلى الهارب أن يكون خلالهما قد غادر السجن من خلفه بالقفز عن سوره . بدت هذه الخطة مستحيلة عمليا ؛ لأن الهارب يحتاج إلى مدة أطول ، ومع ذلك فقد طلبت من عبد الرحمن كرمان ، أن يمهلني بعض الوقت لدراسة الخطة بتمعن. خلوت إلى نفسي ، ورحت أفكر في هذا العرض ، وتساءلت : لماذا اختارني أنا بالذات دون سائر المساجين؟! ولم نكن صديقين حميمين، وما هي الفائدة التي سيجنيها من خطته حتى لو نجحت وهربت أنا ، فالخطة كما ذكرت لا تسمح بهروب أكثر من شخص ، وفي حالة فشلها فإنه سيعاقب لأنني من المحتمل أن أذكر من الذي قطع الكهرباء. إذن يمكن أن يكون شريكا في الخسارة ولا يحتمل أن يكون شريكا في الربح؟!**

**راودني الشك في صاحب الخطة ، فقلت في نفسي : هل هو مدفوع من طرف الإدارة لنعرفة ما يدور في خاطري وهل عرفت الإدارة ؟**

**وهل عرفت الإدارة ما عرض عليّ (إيتان حيا) وزملاؤه ؟ ألا يمكن بالتالي أن يكون ما عرضه كرمان مجرد فخ لي ؟!**

**ومما زاد نسبة الشك لدي ، أنني كنت أعرف أن إدارة السجن تتعمد أحيانا أن تدس شخصا لمعرفة ما يفكر فيه السجين الذي يكون موضع شك لديهم . ولإدارة سجن الرملة سوابق كثيرة يعرفها المساجين ،حيث أن سجن الرملة كما ذكرت سابقا هو من أكبر السجون الإسرائيلية ، وأدارته من أشرس الإدارات . وكان يطلق على السجن اسم (المسلخ) لأنهم كانوا ينقلون إليه من يرغبون في تعذيبه، فهو يحتوي على غرف عازلة للصوت.**

**ومن جملة ألاعيب إدارة هذا المسلخ أنها إذا سمعت سجينا ممن جرى تعذيبهم ، يشكو أو يحاول أن يشكو ، كانت تدفع إليه شخصا بلباس رجال الصليب الأحمر ، ليبوح له بكل ما حدث له ، وبعد أن يفرغ السجين المخدوع ، يقوم ذلك الشخص بخلع ملابس الصليب الأحمر، فتبدو ملابسه العسكرية ، وينهال على السجين المشتكي ضربا ، ويساعده بعض السجانين ، قائلين : ( تريد أن تشتكي )؟!**

**هذه الخواطر والهواجس جعلتني أتحفظ كثيرا على عديد من زملائي بمن فيهم عبد الرحمن .**

**جاءني عبد الرحمن في النادي بعد يومين ، وسألني : هل فكرت جيدا في الخطة ؟**

**فأجبته : نعم ، وأراها خطة فاشلة ، ويجب أن تعرف أنني أقبل خطة تكون نسبة المغامرة فيها معقولة ؛ لأنني إذا حاولت وفشلت ، سيقومون بوضعي في الغرف الانفرادية حيث تصبح محاولة الهروب مستحيلة، وأعلم أن أمامي محاولة واحدة فقط ، لذلك لن أضيعها في أية خطة فاشلة !**

**ضحك عبد الرحمان وقال : اتفقنا سأخبرك بخطة جديدة ومقبولة .**

**\* \* \* 2**

**خطة الهروب**

**قلت لعبد الرحمان : لنتكلم بصراحة ، فهذه مسألة لا تحتمل أنصاف الثقة . نظر إليّ وقال: كيف تنظر إلى سمير درويش !**

**سمير درويش كان سجينا معنا ، وقد ألقي القبض عليه عام 1967 بتهمة الانتماء إلى الجبهة الشعبية – القيادة العامة -،وكان يقيم في الطابق الأول في غرفة المغسلة ، مع أحد أبناء قرية عرعرة ، يدعى محمود ضعيّف ، محكوم بالمؤبد بتهمة مدنية ، وقد مضى على وجوده في هذا السجن أربعة عشر عاما ، ولسمير ومحمود علاقة مميزة مع إدارة السجن ، حيث يسكنان وحدهما في معزل عن سائر المساجين ، وكنا نتجنب إطلاعهما على خواطرنا وأسرارنا ، ولا نشركهما معنا في حالة الصراع مع الإدارة .**

**باختصار كانت شكوك المساجين تحوم حولهما ولم يكونا موضع ثقة، ولذلك عندما سألني عن سمير درويش سألته مستغربا :**

**لماذا تسألني عنه ؟!**

**فأجاب : يريد سمير أن يهرب ، وتستطيع أن نهرب معه من غرفة المغسلة! كان ما قاله عبد الرحمان مفاجأة ، حيث لم يخطر في بالي للحظة واحدة أن سمير يفكر في الهرب .**

**وتساءلت في نفسي : لماذا يريد أن أهرب معه ؟ إنه يستطيع أن يهرب وحده ، خصوصا وأنهم سمحوا له عندما توفي والده ، بحضور جنازته في قريته (البروة) من قضاء عكا ، وكنا نتساءل في استغراب: كيف سمحوا له بحضور جنازة والده ، ولم يكن ذلك من عادتهم بالنسبة إلى السجناء الأمنيين ، والعرب منهم خاصة .**

**قلت لعبد الرحمان : إن هروبك معه أفضل من هروبنا الجماعي! فقال: نحن في حاجة إلى مساعدتك . قلت: وما الذي يمكن أن أساعدكم به . فقال: إننا في حاجة إلى مناشير لقص قضبان الحديد ، وأنا على يقين من أنك تملك ذلك! قلت: هل يعقل أن أتمكن أنا من الحصول على المناشير ، وهل يعجز سمير الذي يزار في غرفة مستقلة ، ويحظة بمعاملة خاصة ، عن الحصول عليها ؟! ثم تابعت كلامي بلهجة حادة وصارمة : تأكد أنني لا أملك مناشير ولا أفكر في الهرب !**

**قلت ذلك وقمت لأغادر النادي ، فقال عبد الرحمان بلهجة رقيقة : أرجو أن تفكر فيما قلته لك ، وأن لا تضيع هذه الفرصة ! حملت الشطرنج وذهبت إلى غرفتي ، ورحت أفكر بما سمعته من عبد الرحمان متسائلا عن هذا العرض ، وعن سبب اختياره لي دون الآخرين؟ مع العلم بأنه لا تربطني بسمير درويش أبة علاقة ، وتساءلت : هل هما مدفوعان من الإدارة ؟**

**وهل تعلم الإدارة بعلاقتي واتفاقي مع الشبان اليهود ، أم أنه أبلغهم أني أملك مناشير ، ويريدون معرفة أين أخفيها ؟**

**ثم أجدني أتساءل في الاتجاه الآخر : ولماذا لا يكون العرض صادقا ، وأنهما يفكران في الهرب فعلا؟! في هذه الحالة تبدو خطتهم أكثر ضمانا من خطة اليهود.**

**مضى يومان وأنا مضطرب ومتوتر الأعصاب ، ولا أستطيع أن أتخذ قرارا، وبقيت على هذه الحالةإلى أن رأيت كرمان الذي كنت أناديه أحيانا على سبيل المداعبة ( كروان). وعندما اقترب مني قال بصوت مسموع : أين المناشر ؟ يجب أن نسرع في قص القضبان! أجبته قائلا: إنني أبحث عنها ، ولعلي سأجدها عند بعض المساجين! راح عبد الرحمان يشجعني ويطمئنني ، فوعدته بأنني سأحاول أن أحصل عليها .**

**في اليوم التالي وضعت تحت مخدة عبد الرحمان منشارا بعد أن مسحت بصماتي عنه ، ثم بحثت عنه وأخبرته بأن المنشار في غرفته وتحت مخدته .**

**ذهب كرمان إلى غرفته وأخذ المنشار ونزل إلى الطابق الأول ، وتوقف عند الباب ونادى سمير وأعطاه المنشار دون أن يشعر أحد . أخبرني كرمان في اليوم التالي ، بأن سمير بدأ في قص القضيب الأمل من قضبان النافذة ، وأنه يريد دهانا أخضر كلون قضبان النفذة، إضافة إلى المزيد من المناشير . ذهبت إلى غرفة المغسلة بحجة زيارة محمود ابن قريتي الذي يسكن مع سمير ، وكان محمود يعمل في المطبخ ، فطلبت منه مزيدا من الحليب والبيض يوميا ، لأستطيع أن أتردد على تلك الغرفة كلما اقتضى الأمر ذلك .**

**دخلت غرفة المغسلة ، ونظرت إلى النافذة وكانت على ارتفاع 1,75 متر . لاحظت أن أحد القضبان مقصوص فعلا ، وإن كان بعضه ما يزال عالقا ، ليكسر عند الهرب .**

**كانوا يتفقدون نوافذ الغرف بعصاة طويلة كل يوم ، أما غرفة المغسلة فلم تكن موضع اهتمام السجانين .**

**بعد أن شاهدت القضيب المقصوص ، رحت أفكر في طلبهم مزيدا من المناشير، ورغم أنني شاهت ذلك ، فقد ظل الشك يراودني لأن مسألة قص القضيب يمكن أن يحدث باتفاق مع الإدارة والمخابرات ، كما كنت أعتقد بأنهم يمكن أن يتيحوا لي فرصة الهرب لقتلي بحجة محاولة الهرب .**

**لذلك لم أقدم لكرمان مزيدا من المناسير ؛ كما أن ما عندي لا يكفي لقص اثنين وعشرين قضيبا .**

**جاءني كرمان في اليوم الثالث وأخبرني بأن سمير درويش يريد أن يتكلم معي ؛ لأن المصباحين القريبين من غرفة المغسلة مقابل النافذة معطلان رغم أن كل مصابيح السجن سليمة . وكنت لاحظت ذلك قبل يومين ، وهذا لا يحدث عادة في السجن ؛ لأنهم يتفقدون كل شيء يوميا ولا يتركون أي مصباح معطلا ؛ فالإضاءة أهم ركائز الحراسة.**

**لم أذهب إلى سمير فورا ، بل ذهبت إليه في اليوم التالي ، وأخفيت كل ما يمكن أن يشعره بأنني أشك فيه ، وفور وصولي إليه قال :**

**أريد المناشير بسرعة ، فالمنشار الذي استعملته انكسر ، ونحن في حاجة إلى عدد كبير من المناشير ، لأن القضبان التي في النافذة مكونة من صفين متقابلين.**

**كنا نقف في غرفة المغسلة ، واعتبرت أن هناك احتمالا لوجود آلة تسجيل ، وآلة تصوير في حالة وجود سوء نية ؛ لهذا طلبت من سمير أن نذهب لمتابعة الحديث في النادي .**

**سرت أمامه ، وأعددت ورقة وقلما ، وقلت له علينا أن نتحاور كتابيا زيادة في الاحتياط . ولاحظت أنه كان يقرأ سؤالي بصوت عال ، ويرد عليه كتابة متبوعة بصوت مسموع كذلك ، الأمر الذي جعلني أتوهم أنه يحمل آلة نقل صوت!**

**حاولت أن أداعبه بالأيدي ، فاندهش لأنه يعرف أن هذا ليس من عادتي ، وقال :**

**باختصار المصباحان معطلان ويجب أن نستغل هذه الفرصة لقص القضبان والهروب قبل أن يتفطنوا إليها ، فقلت له مستغربا :**

**ما هذه الصدفة؟ قال : أتشك فيّ ؟ فقلت: طبعا لا ، ولكني أستغرب هذه الصدفة الجميلة! ثم أضفت : ليس عندي مناشير أخرى وقد أعطيتك المنشار الوحيد الذي كان في حوزتي. فقال: إن مقاس رجل أخي الذي يزورني مطابق لمقاس رجلي ويمكنك أن تضع المناشير في نعل حذاء قياس 44 ، بحيث توضع المناشير تحت نعله ويسلم الحذاء إلى أخي ليحضره لي دون أن يعرف ما في داخله .**

**وافقت على هذا الاقتراح ، وأخذت منه اسم أخيه وعنوانه ، وكلفت أحد الأصدقاء بتنفيذ هذه المهمة دون أن يعرّف نفسه إلى شقيق سمير، ويمكن أن يقدم نفسه بأي اسم وينتسب إلى أي بلد .**

**خطر لي أثناء حديثي مع سمير عن حذاء أخيه أن أشرك طرفا آخر في عملية إدخال المناشير ، لأرى كيف ستكون ردة فعل سمير وكرمان ، وفي الوقت نفسه يمكن الحصول على عدد أكبر من المناشير . فكرت في ذلك السجان ذي القدم الكبير ، وكنت لاحظت نهمه في الأكل والسعي إلى أي مكسب من المساجين .**

**أخبرت سمير بما خطر لي فاستبعد إمكانية ذلك ، ثم ابتسم وقال : لا بأس ، لنحاول. بدأ تنفيذ المخاطرة فورا ، حيث ذهب سمير إلى ذلك السجان وراح يتحدث معه، ثم التحقت بهم في الساحة . لاحظنا أن الغيوم كثيفة وأن المطر سيهطل خلال وقت قصير . وعندما صرت بجانبهم قلت موجها الكلام لسمير : إنني أجزم بأن المطر لن يهطل رغم هذه الغيوم ! رد السجان على الفور قائلا : بل سيهطل بالتأكيد بعد قليل . فقلت له: أراهنك على أنه لن يهطل . فتدخل سمير قائلا: يراهنك من حذاء إلى حذاء فقلت لسمير : موافق!**

**وأمسكت يد السجان لعقد الرهان فرد هو بالموافقة أيضا , تحدثنا قليلا ثم انصرفنا ، ولم يمض من الوقت غير دقائق قليلة حتى هطل المطر ، فصرخ سمير مناديا ، فذهبت إليهما ، وعند وصلت إليهما قال سمير مبتسما : لقد خسرت الرهان يا شاطر! فقلت بصوت هادئ :**

**نعم ، أعترف بذلك ، وأضفت موجها الكلام إلى السجان ، هل تريد أن يأتيك الحذاء مع زواري أم أرسله إليك في بيتك ؟**

**قال سمير بجد : الأفضل أن ترسله إلى بيته ، وسيعطيك العنوان!! فقلت : أهلا وسهلا هات عنوانك . قدم لي عنوانه فقلت له : تكرم سيكون الحذاء عندك قريبا .**

**بعد ستة أيام رأيت ذلك السجان وهو يلبس حذاء جديدا ويتجه إلي بصحبة سمير وهما يبتسمان . قال سمير : شكرا على وفائك بالوعد . سألت السجان : هل هذا هو الحذاء الذي وصلك من طرفي ؟ فقال: نعم هو .**

**كان من جملة المساجين العرب سجين يدعى عمر السيلاوي ، يقيم في غرفتي ، وهو ذو علاقات كثيرة مع المساجين والسجانين وكان يميل إلى المزاح والحركات المضحكة . طلبت منه أن يقوم بحركة ما تؤدي إلى توسيخ الحذاء الجديد الذي يلبسه السجان، ليكون ذلك مبررا لأخذه منه وتنظيفه . اتجه السيلاوي على الفور وأحضر فنجانين من القهوة ، قدم أحدهما للسجان ، بينما أمسك الثاني في يده ، وتظاهر بالتعثر فاندلقت القهوة على الحذاء الجديد . صحنا بالسيلاوي : ماذا فعلت ؟! فقال: لا تتدخلوا ، سأصلح ما أفسدته .**

**قال ذلك وأحضر شبشبا قدمه للسجان وأخذ الحذاء لينظفه فتبعته إلى حمام الغرفة ، ورحنا نفك نعل الحذاء حتى أخرجنا المناشير ، وأعدنا دق النعل بعد تنظيف الحذاء وأعدناه إلى السجان الذي فاز في الرهان!**

**أما شقيق سمير فقد وصل حذاؤه في يوم الزيارة بعد حذاء السجان بيوم واحد، فصار لدينا كمية كبيرة من المناشير البولادية التي وصفها سمير بأنها ممتازة.**

**وعلى الرغم مما حققناه بخصوص المناشير ، فقد ظللت مترددا بين الهرب مع المساجين اليهود ، والهرب مع العرب!**

**كان لي صديق اسمه محمد قاسم يقيم معي في نفس الغرفة ومحكوم لمدو 25 سنة بتهمة الانتماء لحركة فتح والقيام بعدة عمليات في الداخل . هذا الصديق كان يعلم بأنني أخطط للهرب مع ( إيتان حيا ) وزملائه، وذات يوم كنت أسير معه في ممرا السجن ، فقلت له :**

**أريد أن أخبرك بشيء ، ولا أطلب رأيك فيه . وأخبرته بما دار بيني وبين كرمان ، وسمير درويش ، وقلت له :**

**يمكن أن أقتل ، وأريد أن يعرف قاتلي ، وقبل أن أتم كلامي قال محمد قاسم بلهجة متوعدة :**

**إذا واصلت التعاون معهما ( يقصد كرمان و سمير) فإنني سأبلغ إدارة السجن بنفسي !**

**رددت عليه مبررا موقفي :**

**إن الهروب مع سمير وكرمان إن كانا صادقين مضمون أكثر .**

**أضفت مدافعا عن سمير :**

**إن سمير شاب جامعي ويدرك ماذا يفعل ، وليس هناك فائدة تعود عليه في حالة عدم صدقه ، مقابل الضرر الذي سيلحق به حتى من المساجين حين يعرفون ما فعل! ولو خرج من السجن قسيكون هناك من يقتله .**

**لم يبد محمد قاسم مقتنعا ، لكنه سكت على مضض ، فواصلت كلامي :**

**لو نجحت في الهرب مع اليهود فذلك سيكون معناه أن اليهود هم الذين ساعدوني على الهرب ، أما إذا هربت مع العرب فستعتبر الخطة عربية وفي حالة نجاحها يكون مردودها لصالحنا كعرب .**

**وكانت خطة اليهود هي الهرب من المطبخ تحت تهديد السلاج ، أما خطة العرب فكانت التسلل من نافذة غرفة المغسلة ،ولم أكن حتى ذلك الوقت قد أخذت قرارا نهائيا بخصوص الخطتين .**

**رحت أنسق مع الطرفين (إيتان ، كرمان) دون أن أجزم بمن هو الطرف الذي سأهرب معه .**

**ذات يوم قلت لكرمان :**

**عندما نهرب فسوف تكون هناك سيارة من نوع بيجو ، بيضاء تنتظرنا عند الشارع الرئيسي على بعد 250 مترا من السجن ، وسيكون فيها ثلاث قطع من السلاح ، وستنقلنا هذه السيارة إلى القدس.**

**قلت هذا لأشجعهما ، وأبين لهما أن المشكلة تكمن في خروجنا من السجن ، وأن ما بعد ذلك سيكون سهلا .**

**هذا إن كانا ينويان الهرب فعلا ، أما إن كان الهدف هو كشف نيتي ونصب فخ لي لصالح المخابرات ، فسيتضح ذلك لأنهم في هذه الحالة يفترض أن يراقبوا المكان حيث سيارة البيجو الوهمية !**

**في الوقت نفسه كنت أحافظ على علاقتي بالمساجين اليهود المستمرين في تنفيذ خطة الهرب من المطبخ .**

**بدأت أتفحص الحراس وأحدد أوقات حراستهم وتبديلهم .**

**كنا نحبذ أن نهرب أثناء حراسة ضابط يدعى ( ديان) له نادي كاراتيه في ثل أبيب ، وكان معجبا بنفسه ، وعندما كنا نحتاج إلى شيء ما ، كان بعضنا يذهب إليه طالبا منه أن يحدثه عن مهارته وبطولاته ، وكان يستجيب ويسهب في الحديث عن نفسه.**

**أما التوقيت المناسب ، فكنا نفضل الهرب في يوم ماطر ؟ لأن المطر يحد من الرؤية ، خصوصا من أبراج المراقبة ، كما أنه يمحو الأثر شكلا ورائحة .**

**من جهة أخرى واصل سمير عملية قص القضبان بنشاط ، وكنت أقف مع كرمان نراقب له المكان حتى لا يفاجئه أحد من المساجين أو الحراس ، وكانت كلمة السر بيننا وبين سمير هي عبارة ( يا الله ) نرددها مرتين بصوت عال .**

**استغرقت عملية قص القضبان شهرا ونصف الشهر وصارت قضبان النافذة معلقة فقط تنكسر بمجرد دفعها ، وكنا نصبغ القضبان باللون الأخضر حتى لا يظهر أثر القص .**

**ومن أطرف ما حدث خلال هذه العملية ، أن ابن بلدي محمود ضعيّف كان أحيانا يقترب من النافذة خاصة أيام الزيارات ، فيلطخ معطفه بالدهان ، فيأخذه سمير منه وينظفه دون أن يشعر صاحبه .**

**وقد تعمدنا عدم إشراكه وإخباره بموضوع الهرب لأنه قضى جانبا كبيرا من مدة عقوبته،وكان يسمح له بالذهاب إلى أهله مرة كل شهرين لمدة 48 ساعة يعود بعدها ، وبالتالي فإشراكه غير مفيد له ، ولكن ربما يضره حيث كان يتوقع أن يتم الإفراج عنه خلال مدة قصيرة .**

**أما المساجين اليهود فقد واصلوا الاستعداد لتنفيذ خطتهم وشاركتهم في وضع الأسلحة والقنابل اليدوية في ورشات العمل البعيدة عن غرف السكن ، لنخرجها إلى المطبخ قبل الهروب بيوم واحد .**

**فاجأني (إيتان حيا ) ذات يوم بأنهم قرروا الهروب بعد يومين ، وكنت اتفقت مع سمير وعبد الرحمان كرمان على الهرب غدا أي قبل موعد إيتان بيوم ، وقد حددنا لهروبنا أن يتم في المساء ، بينما كان إيتان قد اختار للهروب من المطبخ وقت الظهيرة .**

**\* \* \***

**3**

**سمير درويش بطل**

**مضى عليّ حتى هذا اليوم في القسم العام من السجن ، سنتان وثلاثة أيام ، وكانت السعادة تغمرني كلما تقدمنا في الخطة واقترب وقت الهرب حسب التاريخ الذي حددته ووعدت الآخرين به!**

**بدأت أطمئن لسمير وعبد الرحمان وإلى خطتهما بعد أن لمست جديتهما في التخطيط والاستعداد ، فقررت الهرب معهما ، وكان عليّ أن أخبر إيتان بعدولي عن الهرب معه .**

**رأيته ذات يوم ، فسألته عن رأيه في سمير فقال لي بالعبرية**

**( أل تامين ، أل تامين ، أل تامين ) هذا يعني بالعربية ( لا تثق) وأضاف ( بالمخبر، والشرطي ) .**

**وكان المسكين سمير في نظر المساجين عميلا للإدارة ، أو محظيا لديها على الأقل ، الأمر الذي كان يجعل المساجين يحجبون ثقتهم عنه .**

**والآن سأفاجئ القارئ الكريم بما كنت أجهله عن سمير ، وكان جهلي سبب استمرار شكي فيه لمدة طويلة ، وشأني في ذلك شأن كافة المساجين باستثناء عبد الرحمان كرمان .**

**بعد أن قطع سمير شوطا طويلا في قص قضبان النافذة ، فاجأني عبد الرحمان كرمان ذات يوم بقوله :**

**قال لي سمير درويش منذ مدة طويلة بأنه سيعمل على كسب ثقة الإدارة حتى لو خسر المساجين ، استعدادا لعمل ما كان يراوده في سريرته!**

**فوجئت بما قاله عبد الرحمان وعتبت عليه قائلا :**

**لماذا لم تخبرني بذلك من قبل ؟**

**فقال: لو قلت لك ذلك قبل اليوم فربما كنت ستظن أنني أخترع لك مبررا لتقبل التعاون معنا وتثق في سمير ، وقد تركتك حتى تلمس ذلك بنفسك وعلى الأرض.**

**ضحكت وقلت له :**

**ليس على الأرض ، بل على النافذة!**

**بعد هذه المفاجأة السارة ، وبعدما لمست جدية سمير وجده ومثابرته على تنفيذ الخطة ، تحسنت علاقتي به ، لكن بعض الوساوس ظلت بحكم ظروف السجن وأزمة الثقة التي زرعتها الإدارة بين المساجين، تراودني في بعض الحالات ولكن بدرجة أقل بكثير مما كانت عليه .**

**وذهبت إلى إيتان حيا ونصحته بعدم إخراج السلاح لأنني أعتقد أن من المحتمل أن يحدث شجار بين المساجين ، الأمر الذي سيؤدي إلى تدخل الحراس والإدارة لفض الشجار ، وتفتيش جميع الغرف ، خصوصا إذا استعمل أحدهم آلات حادة كالشفرة أو السكين ، أو قضيب حديدي .**

**اقتنع إيتان وأجل إخراج السلاح لعدة أيام .**

**لم أقصد قط أن أخلف اتفاقي مع إيتان أو أخدعه ، ولكني لم أكن أستطيع أن أصارحه بأنني سأهرب مع سمير ، خصوصا بعدما عرفت رأيه فيه .**

**وكان هو وجماعته يحرصون على هروبي معهم لكي يتمكنوا من الوصول إلى لبنان وأسهل لهم مهمة عودتهم لتصفية حساباتهم مع الشرطة والمخبرين .**

**بدأنا نضع اللمسات الأخيرة ، والخطوات العملية لتنفيذ خطة الهرب .**

**كانت العقبة الكبيرة تتمثل في التسلل إلى غرفة المغسلة التي تقع بين العيادة الطبية والقسم الذي نقيم فيه ، ومما يزيد هذه الخطوة صعوبة أنهم كانوا يضعون حارسا على باب العيادة ، وآخر على مدخل القسم العام من السجن ، وكلا الحارسين يراقب الممر بين العيادة والقسم .**

**كان سمير هو الوحيد الذي يمكنه أن يدخل إلى المغسلة ويخرج منها متى شاء ، لذلك كانت مهمته حسب خطته أن يقف أمام باب غرفة المغسلة ليراقب الممر .**

**أما أنا وعبد الرحمان فكان أمامنا فرصتان فقط للدخول إلى المغسلة: إما أثناء ذهابنا إلى العيادة الطبية ، أو أثناء عودتنا منها .**

**حان وقت التنفيذ فذهبت إلى العيادة ، ورأيت عبد الرحمان كرمان يخرج منها، وعندما اقترب مني همس لي قائلا : الضابط المناوب عند سمير! واصلت السير إلى العيادة كبقية المساجين المرضى ، ثم عدت إلى غرفتنا في القسم العام، وهناك التقيت كرمان فوقفنا ننتظر سمير لنسأله عما طرأ .**

**جاءنا سمير بعد ربع ساعة تقريبا وهو يبتسم وقال : ماذا يمكن أن أفعل وقد جاء الضابط طالبا أن يشرب القهوة عندي ؟! لم أجد مناصا من تلبية طلبه .**

**فقلت له :**

**توشك قواي أن تنهار ، ولا أستطيع الانتظار أكثر من هذا وأريد أن أخلص مهما كان المصير الذي ينتظرنا .**

**قررنا أن نهرب بعد غد الذي يوافق يوم الأحد 03/03/1974 ، وكانت جميع الظروف ملائمة ؛ فالغيوم كثيفة ، وستكون نوبة الحراسة للضابط (ديان) الذي تمنينا أن نهرب خلال حراسته .**

**وفي اليوم التالي وهو السبت ، التقيت (إيتان حيا ) في الممر فقال ضاحكا :**

**هل الطوشة ( المشاجرة) بدأت أم انتهت ؟**

**وقبل أن أجيبه أضاف قائلا :**

**حمزة ... الرجاء أن تكون صريحا معنا ، هل تريد أن تهرب أم لا؟ مهما يكن جوابك فسنخرج السلاح غدا ، وسنهرب يوم الإثنين!**

**حاولت منعه من إخراج السلاح، ورحت أختلق مبررات وهمية ، لكنه هذه المرة لم يقتنع ، فطلبت منه أن نتحدث غدا أثناء العمل على أن لا يقدم على فعل أي شيء قبل أن نتفق ، فوفق على ذلك .**

**لم أذهب إلى العمل في اليوم التالي ، بل بقيت في الغرفة ؛ لأنني علمت بعد أن تم الإحصاء الأول الصباحي للمساجين ، وذهبنا إلى المطعم ، بأن عبد الرحمان كرمان قد غادر السجن إلى مصر ضمن صفقة لتبادل الأسرى بين مصر وإسرائيل .**

**لم أصدق طبعا ؛ لأن مثل هذا لم يحدث من قبل ، فلم يسبق لدولة عربية أن طلبت تحرير سجين فلسطيني من عرب 1948 ؛ إذ أن إسرائيل ترفض مبادلتهم لأنها تعتبرهم من رعاياها .**

**عندما بلغني هذا الخبر عاودتني الشكوك ، وتصورت أن هناك مؤامرة لإخراجي من السجن وإلقاء القبض عليّ خلف السور ، وقتلي بحجة محاولة الهرب .**

**تصورت ذلك لتوقيت المبادلة من جهة ، ولعدم تصديقي قصة الصفقة من جهة أخرى.**

**قلت في نفسي بتأثير الصدمة : ما دام لا يعقل أن تكون الصفقة حدثت فعلا ، فأين عبد الرحمان ولماذا تراجع عن الهرب إذا كان موجودا في السجن!**

**نسيت إيتان حيا ، واتفاقي معه ولم أذهب إلى العمل .**

**عرفت قصة الصفقة من سمير درويش ، فأخبرت زميلي محمد قاسم الذي كان يحثني على عدم التعاون مع سمير وكرمان ، لكن عندما رويت له الخبر ذهل وقال:**

**لا أستبعد أن تكون هناك مؤامرة!**

**فقلت له:**

**لا بد أن الهرب اليوم مهما كانت النتيجة ، فما عدت أستطيع الاحتمال أكثر ، والموت أفضل لي مما أعانيه .**

**قال محمد قاسم :**

**إذن سأهرب معك وليكن ما يكون!**

**واصلنا الحديث في الغرفة وكان المساجين في العمل ، واستمر حديثنا عن الهرب إلى أن عادوا بعد الظهر ، فنزلنا إلى المطعم في الطابق الأول لتناول الغداء.**

**وعندما عدنا إلى الغرف، جاءني إيتان حيا وأخبرني بأنهم أخرجوا السلاح ، وأنهم سيهربون غدا .**

**عندئذ احتدم في داخلي صراع حول مع من أهرب! هل أهرب مع سمير ومحمد قاسم رغم تصوري أن هناك مؤامرة ضدي؟ أم أهرب مع إيتان وزملائه .**

**إذا هربت مع إحدى المجموعتين فأكون قد غدرت أو أخلفت اتفاقي مع المجموعة الأخرى فما العمل ؟**

**بالرغم من كل شيء ، كنت أشعر بأن الهروب مع سمير أضمن إن صدق!**

**رجوت إيتان حيا أن يخفي السلاح جيدا ، فرد عليّ بهدوء قائلا : كلها ليلة واحدة!**

**بعد صراع داخلي شديد ، قررت أن أهرب مع سمير.**

**ذهبت مع محمد قاسم لتناول وجبة العشاء ، ولم أستطع أن آكل شيئا ، فراح محمد يلح عليّ قائلا : يجب أن تقتات لأن أمامك مهمة شاقة تتطلب مجهودا كبيرا!**

**خرجنا من المطعم واتجهنا قبل غيرنا إلى العيادة ، ودخلنا إلى غرفة المغسلة، حيث كان سمير ينتظرنا على الباب .**

**اختبأت أنا ومحمد تحت سريرين متقابلين ، وكانت الساعة حوالي السادسة إلا ربع ، وكان الوقت المحدد للهروب هو السادسة ونصف تماما ؛ حيث من المقرر أن تقطع الكهرباء في هذا الوقت ، وتكون الشمس قد غربت ، وعلينا أن نخرج من النافذة قبل ذلك بدقيقتين لنكون مستعدين عند انقطاع الكهرباء لنتجاوز جهاز الإنذار المربوط بالسلك الشائك الأول ، ونتوجه إلى مولد الكهرباء لتعطيله .**

**أثناء وجودنا تحت السريرين ، جاء ابن بلدي محمود ضعيّف وجلس على سريره فوق محمد قاسم ، وكاد يحول دون تنفسه ، أما سمير فقد جلس خلف المكتب وتظاهر بأنه يكتب رسالة ، وقال بلهجة من تذكر شيئا : يا محمود! حمزة يبحث عنك ويريدك لأمر ضروري.**

**وأثناء خروجه طلب سمير منه أن يغلق الباب وراءه بالقفل حتى لا يزعجه أحد السجانين ويحول دون إتمام الرسالة ففعل محمود ذلك .**

**خرجنا من تحت السريرين وتنفسنا الصعداء ، ورحنا نقص ما تبقى من القضبان.**

**استطعنا إزالة قضبان النافذة قبل الموعد المحدد، وصرنا مستعدين لأي طارئ .**

**كنا قد أعددنا ملابس مدنية خضراء بلون العشب حتى لا يكشفنا الحراس عندما نقفز إلى الأرض .**

**وكانت ملابس السجن سوداء تكشف أمرنا بسهولة .**

**كانت الملابس المدنية عند سمير ، فقمنا بارتدائها ، وكان لدينا ملابس مدنية أفضل منها ، أعددناها لنرتديها بعد القفز عن السور .**

**أكبر مشكلة ستواجهنا بعد الخروج من النافذة هي الوصول إلى السور الذي يبعد 150 مترا عن مبنى السجن ؛ فهناك برجان للمراقبة أحدهما على اليمين ، والآخر على اليسار ، وهناك أيضا طريق ترابي داخل السجن في أوله نقطة حراسة ، وفي آخره نقطة أخرى .**

**وعلى بعد خمسة أمتار من المبنى يوجد شريط شائك ارتفاعه متران تحته جهاز إنذار على ارتفاع 20 سم عن الأرض .**

**وهذا الجهاز يطلق صفارة إنذار لدى مرور أي جسم فوقه .**

**بعد نزع القضبان من النافذة ، وعند اقتراب موعد النزول منها ، نزلت من النافذة وتدليت برأسي ويدي وقفزت إلى الأرض واختبأت بين الأعشاب ، ثم أشرت إلى زميلي محمد لينزل بعد أن راقبت المكان ، فنزل واختبأ قريبا مني ، ثم أشرنا لسمير لينزل بدوره .**

**كان سمير ضخم الجثة بالنسبة إلينا ، ولم يكن ممكنا أن ينزل من النافذة الضيقة بنفس السهولة التي نزلنا بها .**

**وأثناء محاولة النزول علق في النافذة فلم يعد يستطيع النزول أو الرجوع ، فأشرنا إليه طالبين أن ينزل بسرعة أو يرجع إلى الداخل ، لكنه لم يتمكن من هذا ولا ذاك ، فذهبنا ورحنا نسحبه من النافذة ، فتألم ، وشاهدنا أحد الحراس يقترب ، وعندما صار على بعد 20 مترا رأى سمير وأكثر من نصفه خارج النافذة .**

**توقف العسكري وأطلق صفارة الإنذار ، فقلنا وداعا يا سمير ، وانطلقنا إلى أن وصلنا السلك الأول ، فقطعنا جهاز الإنذار ، ثم قطعنا السلك الثاني ، واتجهنا بسرعة إلى السور ، حيث كانت هناك ورشة لبناء برج للمراقبة ، مما ساعدنا على التسلق .**

**في هذه الأثناء كنا نسمع أزيز الرصاص ، فلم أصدق أننا سننجو ، قلت لزميلي محمد ، أسرع ، سينجو واحد منا على الأقل ، وقد نجونا نحن الاثنين ولله الحمد .**

**تسلقنا سلم البرج المعد للبناء (ورشة العمل) ونزلنا إلى الطرف الآخر وحتى هذه اللحظة لم ينقطع التيار الكهربائي وظل الرصاص يلاحقنا بغزارة ، وصفارات الإنذار تواصل دويها .**

**عندما صرنا خارج السور لم نعد نكترث بالرصاص فالظلام يحجبنا عن الأنظار ، وكانت المنطقة الواقعة خارج السور منطقة زراعية غير مضاءة .**

**رحنا نجري في اتجاه النقطة التي ذكرتها لسمير وكرمان حين حدثتهم عن خطة الهرب التي وضعتها ، بما في ذلك سيارة البيجو الوهمية .**

**علمت فيما بعد أن مساعدة سمير لنا لم تقتصر على قص القضبان وتهيئة الظروف المساعدة لهروبنا ، بل زاد على ذلك أنه تظاهر بالإغماء عندما سحبوه من النافذة حتى لا يجيب عن أسئلتهم المتعلقة بأسماء الذين هربوا ، وهذا أعطانا وقتا إضافيا للابتعاد عن السجن قبل أن يعرفوا من يطاردون .**

**لذلك فإنني أشعر بالخجل كلما تذكرت نظراتي الخاطئة لسمير ، وحقيقته التي لم أعرفها إلا بعد فوات الأوان .**

**كان سمير ذكيا وبطلا بالفعل وكان كرمان أعلم مني بالرجال .**

**٭ ٭ ٭**

**4**

**في الاتجاه المعاكس!**

**تخطينا الشارع المعبد ، وصارت القدس عن شمالنا ، وتل أبيب عن اليمين .**

**وعند مرورنا في الشارع المعبد اتجهنا شمالا وتركنا آثارا توهم بأننا سرنا في اتجاه الشمال حيث القدس والضفة الغربية .**

**وكانت الأمطار تهطل بغزارة ، وبجانب الشارع قنوات للمياه ، فرحنا نجري داخل قناة الماء المحاذية للشارع ثم اتجهنا نحو تل أبيب!**

**لم يتمكنوا من تتبع آثارنا أكثر من 250 مترا ، وهي المسافة التي تقع بين السجن والشرع المعبد .**

**هذا ما أعلنه وزير الشرطة في المؤتمر الصحفي الذي عقده مع مدير السجون (نير) ، بعد هروبنا بعشرين يوما .**

**وأضاف وزير الشرطة في ذلك المؤتمر : ( إن هروبهما في اتجاه مخالف للخطة التي وجدناها في ملابس حمزة يونس يدل على الدهاء ، لأنهما تمكنا من تضليلنا ، ولا نعرف كيف تمكنا من وصول الحدود اللبنانية ) .**

**دخلنا البيارات وكان المطر يمحو آثارنا وتعمدنا أن نمشي في قناة الماء حتى لا نترك أثرا ولا رائحة تدل الكلاب على اتجاهنا .**

**ولكن مهمتنا ما زالت صعبة إذ لا نستطيع أن نسير في الشوارع المعبدة ، ولا أن نمر من فوق الجسور والعبارات ، لأننا كنا متيقنين من أن كل الجسور ومفارق الطرق مراقبة .**

**اضطررنا إلى السير في الوديان التي كان الماء في بعضها يرتفع نحو متر ونصف المتر.**

**تبللت ملابسنا المدنية التي كنا نلبسها تحت الملابس الخضراء ، وكذلك تبللت نقودنا والتصقت .**

**وأحيانا كنا نضطر إلى السير في أرض محروثة فتغوص أقدامنا في الطين .**

**عند منتصف الليل بدأ زميلي محمد يشعر بألم في معدته ، وكان يشكو من قرحة فيها ، ولم يحضر معه الدواء ، فعرضت عليه أن أحمله فلم يقبل وقال :**

**إن سبب ألمي هو البرد والجوع .**

**فقلت له :**

**هذا ما لا نستطيع أن نعالجه الآن ، ولكن ما رأيك أن أذهب إلى إحدى المستعمرات وأسرق حصانا أو حصانين !**

**فضحك وقال :**

**تريد أن تجلب لنا مطاردة ثانية بسبب السرقة!**

**فأجبته :**

**لا أخشى ذلك ، لأننا إذا حصلنا على حصان وفرس ، ستكون حركتنا سريعة.**

**فقال :**

**لا ، لكن لنسترح لمدة ربع ساعة فقط .**

**جلسنا للراحة ، ورحنا نتحدث عما يمكن أن يكون حصل لسمير!**

**لأول مرة شعرنا بالحرية منذ اعتقلنا وعندما ذكرنا كلمة الحرية دب النشاط فينا من جديد ، واستعاد محمد حيويته ، فاستأنفنا السير ببطء،غير مبالين بالمطر الغزير ، ولم نشعر بالوقت إلى أن فاجأنا شروق الشمس .**

**عندها عرفنا أننا وصلنا إلى غبات نهر ( اليركون) قرب تل أبيب!**

**بمجرد أن دخلنا الغابة توقف المطر وكأن مهمته قد انتهت!**

**دخلنا إلى وسط الغابة حيث الأشجار الكثيفة ، وجلسنا في موضع تصله أشعة الشمس لتجفيف ملابسنا ، ثم حفرنا حفرة كبيرة ودفنا فيها ملابسنا الخضراء التي هربنا بها ، أما الملابس المدنية التي تحتها فقد نشرناها على الشجر لتجف، وجلسنا على الأعشاب المبللة ، ورحنا نأكل بعض الأعشاب .**

**مكثنا على هذا الحال طوال اليوم ، وتعرفنا خلال النهار على الغابة التي كانت إلى جانبها بيارة برتقال .**

**وعندما خيم الظلام تسللنا إلى البيارة وقطفنا كمية من البرتقال وأكلناها ، فزاد ألم محمد بسبب البرتقال .**

**كنا حفرنا في النهار حفرة وأشعلنا داخلها النار باستعمال كمية من الحطب الأخضر واليابس ، ثم طمرناها بالتراب ، وجلسنا فوقها فأعطتنا الدفء الذي سمح لنا بالنوم دون غطاء .**

**وعند غروب اليوم التالي وهو اليوم الثالث لهروبنا ، لبسنا الملابس المدنية التي كانت قد جفت ونظفناها قدر الإمكان من الطين ، كما أن النقود كانت قد جفت أيضا .**

**طلبت من زميلي محمد أثناء فترة الاستراحة ، أن يفكر بعقلية ضابط شرطة، وكيف سيتصرف اتجاه هروبنا ، فقلت له :**

**نحن اثنان ، لهذا سيكون البحث عن اثنين ، إذن يجب أن لا نمشي كاثنين ، ونحن عرب ، إذن يجب أن لا نذهب إلى المناطق العربية ، وبخاصة قرانا وقرى أصدقائنا وعلى الأخص من زوارنا خلال وجودنا في السجن .**

**إن أقرب مكان لنا هو الضفة الغربية والأردن، لبنان بعيد وبالتالي غير وارد في احتمالاتهم ، إذن يجب أن نتجه إلى لبنان!**

**ناقشنا كل الاحتمالات التي يمكن أن يتصرف على أساسها رجال الشرطة ، و بعد ذلك قلت لزميلي محمد :**

**عليك الآن أن تقترح ماذا نفعل دون أن نقترب من هذه المحظورات .**

**ضحك وقال :**

**أقترح أن نبقى في الغابة إلى ما شاء الله .**

**ولأول مرة شعر محمد بجسامة العمل الذي أقدمنا عليه .**

**ليس الهرب هو مجرد الخروج من السجن ، بل يمتد إلى وصول بر الأمان .**

**ولم نستطع رغم انشغالنا بهذه الأفكار أن ننسى سمير ، وماذا يمكن أن يكون قد حل به ، وماذا قال عنا ، وهل اعترف لهم بأننا سنتجه إلى القدس!**

**أغلب الظن أنه سيقول ؛ لأنهم سيواجهونه بالخارطة التي رسمت عليها الخطة الوهمية .**

**كنت أعتقد جازما بأنهم سيركزون البحث عنا في اتجاه القدس والضفة الغربية ، لكن هذا لا يعني أنهم سيغفلون باقي الاحتمالات .**

**وهذا ما اتضح لي في وقت لاحق ، فقد عرفت أنهم كانوا قد فرضوا رقابة مشددة على كل مداخل قرية عارة ، وخاصة المسقاة حيث يوجد أهلي ، كما أنهم نصبوا كمائن من المشاة بملابس مدنية ، حتى إذا اقترب أحد من بيتنا كانوا يرسلون واحدا منهم للتعرف عليه دون أن يتحدث معه .**

**ولم يكن أهل القرية يعرفون سبب وجود سيارات الشرطة وخاصة في الليل ، وظل الأمر كذلك إلى أن تم الإفراج عن أصحاب سيارات البيجو الذين جرى اعتقالهم فور هروبي ، وحققوا معهم دون أن يشعروهم بالسبب الذي اعتقلوا من أجله .**

**وفي اليوم التالي للهروب سألوهم عني وعما إذا كانوا شاهدوني .**

**وهؤلاء هم الذين عرف منهم أهل القرية سبب تواجد سيارات الشرطة حول القرية ، وكذلك الكمائن القريبة من بيتنا .**

**وعندما انتشر خبر هروبي عمت عارة وعرعرة فرحة عارمة ، وقد صرح أحد الجنود الذين قاموا بالمطاردة والتفتيش بأنهم لم يتركوا شجرة ولا مغارة ، ولا بيتا مهجورا في الضفة الغربية إلا وفتشوه! بينما كنا نحن آنذاك ، نأخذ حماما شمسيا في الغابة قرب تل أبيب!**

**٭ ٭ ٭**

**5**

**في تل أبيب**

**عند غروب الشمس ،اتجهت مع محمد إلى طرف الغابة ، وطلبت منه أن ينتظرني حتى أعود ؛ لأنني قررت الذهاب إلى الحي القريب منّا لشراء بعض الضروريات .**

**تعمدت أن أدخل ذلك الحي من أحياء تل أبيب وقت الغروب ؛ لأن أشعة الشمس تكون ضعيفة ، وكذلك نور مصابيح الكهرباء .**

**لم أشتر من أطراف الحي ، بل ذهبت إألى وسطه تقريبا ، واشتريت سروالا وقميصا لي ، ولبستهما داخل المحل فصار شكلي مقبولا ، عندئذ بدأت التحرك في شيء من الثقة ، فاشتريت كمية قليلة من الطعام ؛ ودواء للقرحة ، كما اشتريت (فستانا) أخضر اللون ، وخمارا أحمر ، ولوازم الحلاقة وأشياء أخرى.**

**وحين خيم الظلام خرجت من ذلك الحي ، لكن من مكان غير مكان الدخول ، واتجهت نحو طرف الغابة حيث ينتظرني محمد .**

**عندما اقتربت منه أحس بحركتي دون أن يراني بسبب الظلام والغيوم ، فالتصق بجذع شجرة وهو ينظر إلى القادم إليه .**

**رحت أبحث عنه ، وحين وصلت المكان الذي تركته فيه ناديته بصوت خافت ، فرد عليّ قائلا :**

**لقد أرعبتني ، وقد تأخرت فساورني الشك .**

**وحين نظر إلى الأكياس التي أحملها أدركت أنه ينتظر شيئا معينا ، فأخرجت له الدواء ، ورغم الظلام الدامس قال :**

**عرفته ، إنه دوائي !**

**ذهبنا إلى الحفرة وكنت اشتريت مذياعا صغيرا وجريدة اليوم والأمس .**

**فتحنا المذياع الصغير لنسمع الأخبار ، كما حاولنا أن نتصفح الجرائد على ضوء الولاعة ، لم نجد أي شيء يتعلق بنا ، فتركنا الجرائد إلى الصباح .**

**أخذ محمد يتفحص ما في داخل الأكياس ، وكلما وقعت يده على شيء يعلن سروره به ، حتى عثر على الفستان والخمار فقال مستغربا:**

**ما هذا ؟ كل ما أحضرته ممتاز ، لكن لماذا اشتريت هذا الفستان وغطاء الرأس؟**

**فأجبته :**

**لقد انتهت مرحلة المطاردة بشراء الفستان والخمار! لم يفهم قصدي، فطلب أن أوضح ما أعني ، فقلت :**

**إنني أعتبر دخولنا غرفة المغسلة بداية الهروب ، وأعتبر شراء الفستان والخمار نهايته! يمكنني الآن أن أتصور كيف سندخل لبنان!**

**طلب محمد مزيدا من التوضيح فقلت له :**

**إن الفستان يجعلنا نخرج من الغابة ، ألم نتفق على أن الشرطة تبحث عن شخصين من الشباب ؟**

**فقال : بلى ولكن ما علاقة الفستان بهذا ؟**

**فقلت له : لن نظهر بعد الآن كاثنين من الشباب ، بل سيكون هناك شاب وفتاة!**

**فهم السبب وسر كثيرا وقال :**

**هذا صحيح ، ولكن من سيكون الفتاة.**

**قلت له مداعبا :**

**أنا أسمر أو حنطي ، وأنت أبيض!**

**فقال : لكن لي شاربا وذقنا! ملامحي لن تتغير حتى لو حلقتهما ، فأي واحد يراني عن قرب سيعرف أنني رجل في ثوب امرأة ، وهذا سيضاعف الشكوك .**

**فقلت : ومن قال لك أننا سنقترب من الناس ، إننا سنمشي على سفوح الجبال ، وقرب البساتين والبيارات ، وهذا مألوف هنا .**

**هذا إذا اضطررنا للسير في النهار ، أما في الليل فستكون في ملابسك العادية .**

**في الصبح ، عدنا إلى قراءة الجرائد بدقة ورحنا نسمع الأخبار، ولم نجد ذكرا ولا إشارة إلينا! العبارة الوحيدة التي تتعلق بنا شيئا ما ، كانت خبرا قصيرا عن محاولة هروب بعض المساجين اليهود من سجن الرملة ، حيث قاموا باحتجاز بعض الرهائن تحت تهديد السلاح، وجاء في هذا الخبر أن مدير سجن الرملة كان يصرخ ويقول : ألا يكفي ما حل بي في الأمس؟! كانت صرخة مدير السجن هي الإشارة الوحيدة المتعلقة بنا .**

**كان بودنا أن يكتبوا أو يذيعوا شيئا عنا لنستنتج منه طريقة بحثهم وتفكيرهم .**

**بررنا عدم نشر خبر هروبنا بأنهم قرروا قتلنا في حالة العثور علينا خلال البحث والمطاردة .**

**قال محمد مداعبا :**

**حتما سيقتلوننا إذا وجدونا ، فأنت تهرب للمرة الثالثة ، ورغم أنني مبتدئ فسيقتلونني معك! وأضاف ساخرا :**

**هل سيصفقون لك وأنت مصدر إزعاج لهم ، لا بد أن يفكروا في التخلص منك ومن هروبك المتكرر .**

**فقلت :**

**قتلنا في حالة الإمساك بنا أرحم من إعادتنا إلى السجن ، لأن ذلك المدير المتغطرس ، الملحد سيحتفل بنا أكثر مما احتفلوا بنا في سجن الصرفند!**

**وحسب ما علمته في وقت لاحق ، فإن ما قلناه لم يكن بعيدا عن الواقع، حيث علمنا أن ذلك المدير حمل رشاشه العوزي وراح يصيح بعصبية ويطلق بعض الطلقات في الهواء أمام المساجين العرب !**

**نمنا تلك الليلة في الغابة ، وقررنا أن نتجه في الصباح إلى لبنان .**

**في الصباح حلقنا ذقنينا وحلق محمد شاربه ولبس الفستان ، ووضع الخمار على رأسه ، وانتظرنا حتى ارتفعت الشمس ، ثم غادرنا الغابة في اتجاه شمال فلسطين.**

**مشينا في شيء من الثقة والطمأنينة ، لكننا كنا نبتعد عن الناس ، سالكين سفوح الجبال والطرق الترابية .**

**واشترينا كل ما نحتاج إليه ، وهدأت أعصابنا وصار لدينا وقت للتفكير والمناقشة .**

**وفيما نحن سائرين قلت لزميلي :**

**أنا متأكد من أنهم سيراجعون ملف هروبي الأول وكذلك الثاني .**

**في الهروب الأول واصلت الجري حتى وصلت إلى بر الأمان في غزة ، أما في الهروب الثاني فقد اختبأت حتى امتصصت غليانهم .**

**لكن هذا الهروب يختلف عن الحالتين السابقتين ، ولسوء حظنا لم يذكروا شيئا في إعلامهم عنا .**

**ثم تطرقنا باالحديث إلى السجن وزملائنا فيه ،ماذا يقولون الآن ؟ كنا مصرين على إنجاح هروبنا لا بقصد الحصول على الحرية فقط ، إنما أيضا لإرسال شحنة دعم إلى زملائنا الذين نتصورهم يصلون ويبتهلون إلى الله من أجل نجاحنا .**

**ولا شك أن صدمتهم ستكون عنيفة إذا تم إلقاء القبض علينا لا قدر الله، وفي المقابل ستتضاعف الغطرسة والعنجهية لدى السجانين ، وستجلدنا عبارات التبجح في كل مكان وعند كل مناسبة !**

**بعد ذلك كنا نذهب بالحديث إلى عدد الإحصاءات اليومية التي مرت دون أن نحضرها!**

**وعلى الرغم من أن حالتي النفسية كانت حسنة ، فإنني لم أستطع أن أنام طوال الأسبوع الأول للهروب ، ولم أشعر أنني في حاجة إلى النوم ، لكنني كنت أدرك أنه ضروري لاستعادة القدرة العقلية والفكرية.**

**٭ ٭ ٭**

**6**

**الطريق إلى لبنان**

**فرض علينا أن نسير في منطقة كلها قرى ومدن يهودية ، في اتجاهنا إلى الشمال .**

**كما فرض علينا أن نضع في اعتباراتنا الاحتملات والمفاجآت التي قد تظطرنا إلى الجري ، وكانت عضلات أرجلنا مشدودة بعد شوط الجري في اليوم الأول.**

**كلما تقدمنا نحو الشمال ، وقطعنا مسافة معتبرة في هذا الاتجاه، وكلما تعاقبت الأيام، ازددنا ثقة ، وقلت في خواطرنا احتمالات المطاردة ، على الرغم من أنهم حشدوا كثيرا من الرجال والمعدات والآليات بما في ذلك الطائرات المروحية التي كانت تجوب سماء الضفة الغربية بالذات ، مع أنهم في اعتقادنا كانوا جازمين بأننا ما زلنا في الداخل .**

**واصلنا السير وكنا نخشى الصدف ، خصوصا وأننا لا نعرف المنطقة الشمالية جيدا ، فقد غبت عنها مدة عشر سنوات ، وزميلي محمد كان قد مضى عليه في السجن ثلاث سنوات ، وكلانا من المنطقة الوسطى ، يضاف إلى ذلك أن ظهور العمل الفدائي جعل اليهود أكثر حيطة وحذرا .**

**كان علينا أن نتوقف عن السير ليلا في بعض المناطق التي يمكن أن تكون مراقبة ، ويكون السير ليلا فيها موضع اشتباه .**

**لهذا كنا نقضي الليل في مكان واحد ودون حركة ، وكان البرد شديدا ، مما اضطرنا إلى أن نحفر حفرة ، نوقد فيها النار دون لهب ، ونطمرها بعد أن تتقد جيدا بالتراب ، ونجلس فوقها إلى الصباح ، حتى إذا طلع النهار وارتفعت الشمس قليلا ، استأنفنا السير .**

**واجهتنا بعض المشاكل ، ونظرا لإحساسنا بأن المراقبة خفت ، فقد قررنا الاتصال ببعض الأصدقاء والمعارف من بعيد ، واخترنا من ليسوا معروفين كأصدقاء لنا .**

**قلت لمحمد :**

**مؤكد أن أصدقائي مراقبين أكثر من أصدقائك ؛ لأن الشرطة تعتقد أنني المخطط للهروب ، فإذن علينا أن نتصل بأصدقائك .**

**ذهبنا إلى أحد أصدقاء محمد ، وحين اقتربنا أشار إلى بيته ، فذهبت وطلبت منه أن نتحدث على انفراد .**

**وعندما صرنا منفردين قلت له :**

**محمد قاسم يسلم عليك ، وفور سماعه الاسم ، انتفض وقال :**

**لا أعرف أحدا بهذا الاسم ! والرجاء أن لا تزيد كلمة واحدة! قال هذا وتركني وانصرف!**

**عدت مسرعا إلى محمد وغادرنا المكان في أسرع وقت ، ولمسنا أن الشرطة ما زالت تقوم بتحريات مكثفة ومراقبات مشددة،فقررنا أن نصرف النظر عن أصدقائنا، وخاصة من أهالي قريتي وقريته .**

**ورحنا نفكر بمعارف بعيدين عن الشبهة ، وحددنا أحدهم وقررنا الذهاب إليه .**

**وحين قابلناه استعد لخدمتنا وأخذ يزودنا بالأخبار بعد أن ذهب إلى قريتي عارة ، وقرية الطيرة ، وهي قرية محمد قاسم .**

**وعرفنا أن الكمائن وسيارات الشرطة قد انسحبت ، ولكننا لم نطمئن كثيرا ؛ لأننا كنا متأكدين أنهم سيتركون عيونهم بدلا من سياراتهم ، وهذا أخطر .**

**طلبنا من ذلك الصديق أن يصحبنا إلى المثلث الشمال ففعل ، وحين وصلنا شكرناه وقلنا له : جزاك الله عنا كل خير ، يمكنك أن تعود ؛ لأننا نعرف بقية الطريق ، وسنتجه إلى الأردن .**

**لم يكن ما قلناه صحيحا بل كان من باب الاحتياط ، واقتنع الصديق المشكور بأننا ذاهبان فعلا إل الأردن .**

**وصلنا إلى منطقة الجليل عبر مرج ابن عامر ، وهناك وجدنا كثيرا من الأحراش والغابات ، الأمر الذي سهل لنا التحرك بين أشجارها ، وساعدتنا المواقف والإشارات المرورية على معرفة الاتجاه إلى المدن والقرى المحيطة بنا .**

**سرنا في اتجاه الشمال لمدة أسبوع ، ثم وصلنا إلى الحدود اللبنانية .**

**كان ذلك في 16/04/1974 ، على الساعة الحادية عشر قبل الظهر ، وأضحينا على مسافة أمتار من الأسلاك الشائكة المنصوبة على الحدود .**

**مكثنا في المكان بين الأشجار الكثيفة إلى المساء ، وفور غروب الشمس اتجهنا إلى السلك الشائك الذي كان ارتفاعه مترين ونصف المتر تقريبا ، ويشكل أعلاه زاويى حادة ، مما يزيد صعوبة تسلقه .**

**كنا بين الأشجار ننتظر الغروب ونراقب كل من حولنا لنتأكد من عدم وجود كمائن ثابتة أو نقاط مراقبة ، ثم تنفسنا الصعداء وقلنا : نحن على مسافة أمتار من الحرية.**

**كان هناك قبل السلك الشائك طريق معبد للدوريات ، يليه ممر ترابي بعرض ثمانية أمتار لمعرفة الأثر من طرف أي إنسان يعبر الحدود ، وكانوا يتفقدون الطريق الترابي كل صباح .**

**حل الغروب ، فاتجهت إلى السلك الشائك وتسلقته غير مبال بأشواكه ، وتمكنت من القفز إلى الطرف الآخر ، وأشرت إلى محمد ليلحقني ، وبينما كان يتسلق السلك علقت ملابسه بالأشواك السلكية ، فساعدته على التخلص,**

**وفي هذه اللحظة ظهر ضوء سيارة من بعيد ، فوقع الضوء على محمد وهو عالق بالسلك ، وبعد أن نزل بمساعدتي راح يضحك ، فسألته :**

**لماذا تضحك ؟**

**فقال : لأنني ظننت أن السيارة قريبة وأنني قد اكتشفت ، وأنت حر في الجانب الآخر ويمكنك أن تهرب بينما أكون قد وقعت في أيديهم .**

**ولاحت في ذهني خاطرة تذكرني بأنك تركت سمير درويش عالقا في النافذة في بداية الهروب ، وأنك ستتركني عالقا بالشريط في نهايته!**

**ضحكنا وتعانقنا وحمدنا الله على السلامة ، ثم قلت له :**

**لم ينته الهروب تماما،فعلينا أن نتجاوز الكمائن اللبنانية وإن كانت العلقة معهم أهون ، لكن علينا أن نتفادى أية عراقيل .**

**تخطينا مواقع الجيش اللبناني ، ووصلنا إلى المواقع التي يسمح للفدائيين بالتواجد فيها .**

**ركبنا سيارة أجرة إلى البرج الشمالي حيث مكتب فتح ، وفوجئنا بأن ذلك المكتب قد أغلق ونقل إلى داخل المخيم ، فذهبنا بالسيارة إلى المقر الجديد حسب ما وصف لنا .**

**وأثناء السير وقعت عيناي على فدائي أعرفه يدعى قسام ، فطلبت من السائق أن يتوقف ، وصحت مناديا : قسام! فاقترب من السيارة وحينما شاهدنا صاح قائلا : بسم الله! بسم الله!حمزة !!**

**ضحكت وقلت له : ادفع أجرة السيارة ، فدفع وهو ينظر إلي في ذهول .**

**كان ذلك مع بزوغ الفجر ، وبعد نزولنا من السيارة تعانقنا مع قسام ، وأخبرته بأننا هربنا من السجن وبعد أن استوعب ذلك ، وزالت دهشته ، أوصلنا إلى مكتب فتح ، وكان يتبع للقطاع الأوسط ويقوده ضابط يدعى المقدم بلال .**

**كان بلال نائما في المكتب فطلبت من الحارس أن يوقظه ويبلغه بأن حمزة يونس موجود هنا .**

**وسمعت بلال يقول للحارس : ماذا تقول ؟! حمزة في السجن! فرد عليه بأن الشخص الموجود يدعى حمزة!**

**جاء بلال وفور رؤيتي صرخ : مش معقول! لم أتصور أنه يمكنني أن أراك إلا إذا ألقي القبض عليّ وألحقوني بالسجن!**

**شربنا القهوة ، وتناولنا الإفطار ، وجهز لي ولصديقي محمد بطاقتين شخصيتين ، وفي طريقنا إلى بيروت مررنا بصيدا ، والتقينا بقائد المنطقة الجنوبية في ذلك الوقت وهو العقيد الحاج إسماعيل .**

**شربنا عنده القهوة ، ثم ذهبنا إلى مكتب ( أبو جهاد ) في بيروت .**

**مع ( أبو عمار ، وأبو جهاد )**

**وصلنا إلى مكتب ( أبو جهاد ) وكان يديره النائب المفوض ( أبو شامخ) ، اتصل مدير المكتب بمنزل ( أبو جهاد) فحضر بعد قليل ، تعانقنا وحمد الله على سلامتي وقال :**

**هذا ما كنت أتوقعه!**

**وأضاف مبتسما :**

**عندما زرت القاعدة البحرية في اللاذقية بعد خروجك منها قال الشباب يومها : (حمزة مازال في السجن ، ألا تستطيعون أن تفعلوا شيئا )؟**

**فأجبتهم قائلا : اطمئنوا ، فسوف تستيقظون يوما ، وتجدون حمزة بينكم!**

**تحدثنا مع (أبو جهاد) طويلا عن السجن وأوضاع المساجين ، وعن هروبنا ، وانضم إلينا خلال الحديث بعض الإعلاميين ، منهم ماجد أبو شرار وزياد عبد الفتاح، وكنت أعرفهما جيدا ؛ لأنني عملت معهما في الإذاعة .**

**لم يكن الإعلام الإسرائيلي حتى ذلك اليوم ذكر شيئا عن هروبنا .**

**وأثناء وجودنا في بيروت ، أعلنت إذاعة إسرائيل في نشرة الثالثة والنصف بعد الظهرخبر مقتضبا يقول : ( هرب اثنان من المساجين الأمنيين ، ويعتقد أنهما وصلا إلى لبنان )!**

**يبدو أنهم عرفوا وصولنا إلى لبنان من خلال الأثر على الحدود ، أو من المكالمات الخارجية التي أجري عدد كبير منها أثناء وجودي في مكتب ( أبو جهاد) ومن المؤكد أنهم كانوا يراقبون المكالمات .**

**كنا محمد وأنا متعبين ، وملابسنا متسخة ، فطلبنا الانصراف ، فقال أبو جهاد:**

**امكثا قليلا ، فقد علم بوجودكما الأخر أبو عمار وهو قادم الآن .**

**بعد قليل حضر أبو عمار ، وتلقانا بفرحة مليئة بالدموع ، وبالرغم من حالتنا فقد أصر على أن نتناول الغداء معه .**

**حضر الغداء بعض الأصدقاء ، وبينهم ابن عمي ورفيق الهروب الأول مكرم يونس ، والدكتور راجح ، فكلفهما الأخ أبو عمار بأن يستأجر لنا بيتا مفروشا لنستريح ونستحم ، لكن عندما كان أصحاب البيوت يروننا في تلك الحالة ، حيث ملابسنا متسخة وعلامات الإرهاق بادية علينا ، يرفضون تأجيرنا لعدم ارتياحهم إلى منظرنا ، ولم يكن مقبولا أمنيا أن نقصد أحد الفنادق ، لذلك ذهبنا واشترينا ملابس جديدة وحلقنا رأسينا وذقنينا فصار منظرنا مقبولا .**

**عندئذ تمكنا من استئجار غرفة في بيت دون أن نصرح بهويتنا .**

**قررت القيادة أن نعقد مؤتمرا صحفيا في اليوم التالي ، دعيت إليه وكالات الأنباء وكافة الصحف الموجودة في لبنان .**

**عقد المؤتمر وشرحنا للصحفيين بشكل موجز كيفية هروبنا ، فتناقلت القصة معظم الصحف ، ومنها الصحف الإسرائيلية ، التي جن جنونها فشنت حملة على المسؤولين الإسرائيليين ، ووصفتهم بالتقصير .**

**أذكر هنا ، أنني تعمدت في المؤتمر الصحفي،أن أتحدث عن الهروب الثالث فقط ، ورغم إلحاح بعض الصحفيين عليّ في أن أتحدث عن الهروبين السابقين، فقد رفضت ، إكراما لمدير السجن العسكري في الصرفند الذي عاملنا بلطف وأمر بفك القيد عن قدمي ، وبصرف علبة سجائر من نوع ممتاز (تايم) يوميا .**

**إثر حملة الصحافة الإسرائيلية على المسؤولين الأمنيين ، عقد وزير الشرطة، ومدير السجون (نير) مؤتمرا صحفيا قالا فيه : إن الهروب يحدث في جميع بلاد العالم وإسرائيل من أقل الدول التي يهرب من سجونها مساجين ، ولكن من المؤسف أن يهرب سجين محكوم عليه بالسجن المؤبد ، وكان سبق له أن هرب في ظروف مختلفة .**

**وأضاف وزير الشرطة : لست مقتنعا بالتحقيق ، وإن كنت أعترف بأن الخطة محكمة ونفذت بذكاء ، حيث تمكنا من تضليل الشرطة فلم نستطع تعقبهما أكثر من 250 مترا !**

**ولامتصاص الصدمة وتغطيتها ، لجأت المخابرات الإسرائيلية بدهائها المعروف إلى بث إشاعة مفادها أن الهروب الثالث لحمزة يمكن أن يكون مدبرا من طرفها!**

**وما أزعجني أكثر من هذه الإشاعة ، هو أن بعض أعضاء فتح شاركوا في ترويجها ، وكان عزائي في ذلك أن المشاركين في الترويج لم يكن بيني وبينهم أية علاقة سابقة ، في حين أن الذين يعرفونني من خلال العمل معهم ، كانوا يدافعون عني وينفون تلك الإشاعة المغرضة .**

**وعلى سبيل المثال، فإن الطيب عبد الرحيم وكان مديرا لإذاعة الثورة في القاهرة ، عندما وصل الإذاعة خبر هروبنا ، دون أن تكون الأسماء دقيقة ولا واضحة ، جزم بأن الهارب هو حمزة يونس.**

**وكان في مقدمة المدافعين عني ، أبو عمار ، وأبو جهاد ، لكن المرجفين والمشككين لم يكتفوا بترويج الإشاعة في أوساط الثورة ، بل قاموا بتوصيلها إلى بعض الأجهزة العربية .**

**لم أكترث بالأرجوفة مصدرا وترويجا ، كما لم يكترث بها أحد من القادة الذين يعرفونني ، لكن ما كان يؤلمني فعلا ، هو أن الذين كانوا يصدقونها أو يميلون إلى تصديقها ، ينطلقون من عدم الثقة في قدرات الإنسان العربي ، فلم يكن معقولا في نظر هؤلاء البسطاء المهزومين في أعماقهم أن يتمكن عربي من الهرب من سجون الاحتلال ثلاث مرات ، ولو كان الفاعل يهوديا لصدقوا وأعجبوا به .**

**إنهم مهزومون في داخلهم والمهزوم داخليا لا ينتصر!**

**مني استئناف العمل معه في (الغربي) .**

**كان من حقي كأسير أن أطلب الراحة والتقاعد ، ولكن استمرار إسرائيل في قصفها لمخيمات شعبنا دون مبرر ، وإصرارها على حرماننا من أبسط حقوقنا، وضرب عرض الحائط بكل القرارات الدولية، كل ذلك كان يفرض علي أن أواصل العمل مع المقاومة ، رغم السلبيات التي يعرفها العام والخاص .**

**واصلت العمل مع (أبو جهاد) حتى عام 1982 ، أي حتى خروجنا من لبنان.**

**واخترت الذهاب إلى السعودية لأتمكن من رؤية أهلي في موسم الحج.**

**وكانت السعودية قد سمحت لمسلمي الأرض المحتلة بأداء فريضة الحج ، وقبل الخروج من لبنان بعدة سنوات واظبت على أداء فريضة الحج سنويا .**

**ومنذ عام 1978 بدأ أهالي الأرض المحتلة يؤدون فريضة الحج ضمن الحجاج الأردنيين وتحت إشراف البعثة الأردنية .**

**وكم أسعدني ما كنت أقدمه من خدمات طبية لأهالي قريتي خاصة ولحجاج 1948 بصفة عامة .**

**وتمكنت من تقديم مساعدات أكثر عندما انتقلت إلى العمل في مكتب منظمة التحرير في السعودية ( اللجنة الشعبية لمساعدة أسرى ومجاهدي فلسطين ) .**

**٭ ٭ ٭**

**علم أهلي من حجاج قريتنا بأنني أحضر موسم الحج كل عام ، فحضر والدي ووالدتي وشقيقتي فاطمة إلى الحج عام 1979 ، وقد حاولت السلطات الإسرائيلية منع والديّ من أداء فريضة الحج، بحجة أنهما ذاهبان للقاء بي ، فرفع والدي شكوى تظلم إلى السلطات القضائية ، فأعادت السلطات الأمنية النظر ، وتم الاتفاق مع والدي على أن يسمح له بالذهاب إلى الحج مقابل سحب الشكوى .**

**كنت في هذه الفترة تزوجت من فتاة فلسطينية مقيمة مع أهلها في دمشق ، فاصطحبت زوجتي معي في موسم عام 1979 ، وذهبت إلى حجاج قريتنا في المدينة المنورة ، حيث كانوا يسكنون في بيت كبير له باحة واسعة،ويتكون من طابقين،الأول للرجال ، والثاني للنساء .**

**عندما دخلت الطابق الأول هب الرجال لاستقبالي ، وهرعوا لمصافحتي وتقبيلي ، وعلمت النساء في الطابق الثاني فنزلن مسرعات ، وسلمن علي وبكين من شدة الفرح ، أما والدتي فقد تريثت على الدرج ، فانشدت أنظاري إليها ولم أعد أعرف من يصافحني .**

**ولما فرغ النسوة من السلام عليّ، تقدمت والدتي وقبلتني قبلة سريعة وقالت : إبق مع الرجال حتى تفرغ من لقائهم ، ثم اصعد إلينا .**

**حين صعدت إلى الطابق الثاني قرر النسوة أن أبيت تلك الليلة مع زوجتي بينهن ، وقلن : (لينم بجوار والدته وزوجته) لكن أمي اعترضت وتركتني بين قريباتي ، مكتفية بأن تنام حيث يمكنها أن تمد يدها بين حين وآخر لتلمس رأسي، وكنت أسمعها وهي تقرأ القرآن وتسبح ، وتدعو ، ثم قالت وهي تداعب شعري :**

**الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله ، كررتها ثلاث مرات ثم حدثتني عن مداهمة الشرطة لمنزلنا في القرية عشية هروبي في 03/03/1974، وكيف أن أهلي ناموا مبكرين في تلك الليلة ولم يفتحوا التلفاز بسبب وفاة أحد أقاربنا في الكويت.**

**ودخل الشرطة المنزل وآلياتهم تحاصر البيت وقاموا بحملة تفتيش دون أن يشعر بهم أهل البيت ، وعلموا فيما بعد أن الشرطة كان لديها أوامر بإطلاق النار دون إنذار في حالة اعتراض أحد من أهلي على تصرفاتهم الاستفزازية التي أفزعت أهل الحي ، فظلوا مستيقظين طوال الليل وقلقين على أهلي ، لكن عناية الله وحده له الحمد جعلتهم يستغرقون في النوم فلم يشعر أي منهم بما يجري في البيت ولم يعرفوا ما حدث إلا من الجيران الذين هرعوا إلى بيتنا مع الفجر بعد انصراف القوة المداهمة .**

**حدثتني بعد ذلك عن حملة أخرى قام بها رجال الشرطة ، بعد المؤتمر الصحفي الذي عقدته في بيروت ، وكان القصد من تلك الحملة تفريق أهالي قريتنا والقرى المجاورة التي قدم أفواج منها لتهنئة أهلي على نجاحي في الهرب للمرة الثالثة ، وليحتفلوا بدافع من الفرح والشعور بالنصر .**

**وكان الرجال في الطابق الأول قد أخبروني بأن مدير المخابرات زار القرية بعد هروبي ، وسأل عن أخباري ، فقالوا له بشيء من الخجل والخوف : بعد أن خرج لا نعرف أخباره ، فقال لهم : لماذا تتحدثون عن حمزة بهذه اللهجة ؟ لكم الحق بأن تفخروا لأنه من أبناء هذه القرية! مضيفا أن هروب حمزة الثالث جرحنا أكثر من عبور المصريين لخط بارليف!**

**ذكرني ما سمعته بما قاله الملحق العسكري المصري في بيروت العميد مروان ، حيث قال لي : إن هروبك الثالث يعني خرق أسطورة الأمن الإسرائيلي .**

**ظللت ألتقي سنويا بأهل قريتي في موسم الحج ، وبعد خروجنا من لبنان عام 1982 ، اخترت العمل في مكتب المنظمة في السعودية ، لأتمكن من مقابلة الأهل والأقرباء في موسم الحج كما ذكرت سابقا .**

**وعندما استقر بي المقام مع زوجتي وبناتي الثلاث في جدة ، شعرت لأول مرة بالاستقرار الأسري ، حيث صرنا نتناول الوجبات الثلاث معا ، وهذا ما لم يكن يتيسر من قبل نظرا لتنقلي بين سوريا ولبنان وبين القواعد ، ولم يكن لي عنوان ولا موعد محدد ، خصوصا وأن المتاعب والأزمات التي كانت تلاحق الثورة فرضت المزيد من التنقل .**

**أما هنا في جدة فشعرت بأنني موظف كأي موظف في شركة أو مؤسسة ولا شك أن ذلك أراح أسرتي ، كما أنه انعكس على سلوكي مع القادة الذين كانوا يترددون على السعودية ، حيث اختلفت اللهجة الحادة والخلافات التي كانت تحدث بيننا ولا سيما حول أسلوب العمل.**

**ذات يوم حضر الأخوان ( أبو جهاد وأم جهاد) لمقبلة الملك فهد في قصره بجدة ، فذهبت مع الأخ رفيق النتشة ( أبو شاكر) سفير فلسطين آنذاك ، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، لمقابلتهما ، وكانت علاقتي مع السفير ( أبو شاكر) فاترة بسبب بعض الخلافات في وجهات النظر.**

**وبعد أن جلسنا مع ( أبو جهاد ، وأم جهاد) ، رحنا نتمشى في حديقة القصر ،كنت أمشي إلى جانب أم جهاد ، وكان السفير يسير إلى جانب أبو جهاد .**

**وعندما التقينا في أحد الممرات رأيت الاثنين ينظران إلى ويتبسمان وحين اقترب مني أبو شاكر همس لي قائلا :**

**ليس معي فقط !**

**فسألته : ماذا تعني**

**فقال لي : سأخبرك فيما بعد .**

**ودعنا الأخوين ( أبو جهاد وأم جهاد) ، وذهبنا إلى مكتب المنظمة بجدة ، فقال أبو شاكر :**

**كان أبو جهاد يتحدث معي طول الوقت عنك بشيء من الإعجاب والاحترام رغم أنه – كما قال – لم يسمع منك كلمة حلوة إلا بعد أن ابتعدت عنه وتوقفت عن العمل!**

**لم أفاجأ بما قاله أبو شاكر على لسان ( أبو جهاد) فقد كنت ألاحظ أثناء وجودنا في بيروت أن أبا جهاد كان يستقبلني في مكتبه مع بعض الزملاء ، لكنه كان يؤجل الخوض معي في العمل إلى أن يفرغ من الحديث مع الآخرين ، وبعد انصرافهم يبدأ الحديث معي على انفراد ، مع العلم بأنني كنت أسمع حواره مع الزملاء ، وهذا يعني أنه كان حريصا على أن لا يسمع حديثنا أحد!**

**كنت أشعر بثقة أبي جهاد وتقديره لأفكاري وما يؤكد ذلك الشعور ، أنه كان يستشيرني ويطلب مني بعض الابتكارات لتطوير العمل .**

**وعلى سبيل المثال فقد تذمر أمامي في جدة من غطرسة البحرية الإسرائيلية وتصرفاتها العدوانية ضد أصحاب زوارق الصيد اللبنانية ، وكذلك ضد السفن التجارية المتجهة إلى لبنان .**

**قال أبو جهاد بعد ذلك :**

**أريد أن نعمل عملا ما لإغلاق بعض الشواطئ الإسرائيلية كرد على ممارسات الغطرسة الإسرائيلية .**

**فكرت قليلا وقلت له : إن هذا سيكلفك ثمن خروف !**

**ضحك أبو جهاد وقال : خذ ثمن عشرة !**

**ومن عادته أن لا يسألني بماذا أفكر ، ولا كيف سأنفذ؟ لأنني كنت أقول لهم دائما خذوا العنب ، ولا تسألوا عن الناطور !**

**كان أبو جهاد يعرف طرافة أعمالي وغرابتها وقلة تكاليفها نظرا لبساطتها ، فمثلا كنت أحرس بيتي بخمسة ثعابين مدربة دون استعانة بحراسة الأفراد .**

**بعد فترة قصيرة سمع أبو جهاد من إذاعة إسرائيل ، أنه تم إغلاق شواطئ إيلات؛ لأن سمك القرش هاجم المصطافين وأصاب بعضهم بجروح!**

**فور سماعه هذا الخبر ، اتصل أبو جهاد بي مستفسرا عما إذا كان لي علاقة بما حدث في إيلات ، فقلت له ضاحكا :**

**إدفع ثمن الخروف أولا!**

**ثم شرحت له كيف تمت عملية الخروف ، حيث كلفت بعض المصطافين بذبح خروف على الشاطئ ووضع دمه وأحشائه في كيس محكم الغلق ، ليقوموا بتمزيق الكيس داخل البحر بعيدا عن الشاطئ قليلا عندما ترتفع الشمس ويزدحم بالسابحين البحر!**

**٭ ٭ ٭**

**خارج القوس**

**الهروب الرابع .. إلى أين؟!**

**حين اجتمع شمل أسرتي في جدة ، شعرت لأول مرة بالسعادة الشاملة .**

**ربما كنت أشعر قبل ذلك بنوع من السعادة منفردا ، أي حين كنت أعمل بعيدا عن أسرتي التي كانت تدفع ثمن ذلك المقدار من السعادة الفردية .**

**هنا في جدة صار في وسعي أن أتناول الوجبات الثلاث مع زوجتي وأولادي ، وأقضي جانبا كافيا من الوقت معهم يوميا ، فعملي في مكتب المنظمة هنا لا يستغرق وقتا طويلا ولا جهدا كبيرا ولا سفرا متلاحقا .**

**كان الشيء الوحيد المزعج هو تصرفات بعض زملاء العمل في المكتب ، ولم تكن تصرفاتهم في حد ذاتها مزعجة بمقدار ما يحمله من الإزعاج تجاهل القيادة لها وترقية مرتكبيها ، حسب قانون المرحلة ومنطق اللهط والنفاق والهيلمة و ( التنسيق مع الآخرين)! وبموجب هذا المنطق الرباعي ، أو المربع المنطقي تمت ترقية الديب من سائق إلى سفير! وبموجبه أيضا جرى تعيين ولديه بمرتب وسيارة وسكن ، فصار المستجد في العمل أعلى مرتبا ممن قضى شبابه وبلغ سن الكهولة في صف المقاومة!**

**ومع أن الأخ رفيق النتشة حاول بعد تعيينه سفيرا ، إصلاح الوضع الفاسد ، والحد من تصرفات المفسدين فإنه لم ينجح في ذلك ربما لأن منطق المرحلة أقوى من منطقه على الرغم من ثقافته الواسعة ، وبعد حين طار المصلح وبقي الفساد!**

**لم يكن من السهل أن يتكيف الشرفاء من رجال المقاومة مع الوضع الجديد لا شكلا ولا مضمونا ولا ممارسة ، كما لم يكن من السهل أيضا أن يصلحوا ما أفسده الدهر!**

**طار رفيق النتشة ، وجاءت أزمة الخليج وتحولت بسرعة إلى حرب، وبعد توقفها ، تم إلقاء القبض علي ووضعت في سجن حايل قرب الرياض دون أية تهمة .**

**قضيت في السجن مدة عامين وأربعة شهور دون أن يسمح لزوجتي وأولادي بزيارتي خلال الشهور التسعة الأولى ، ثم سمح لهم بزيارتي بين حين وآخر ، وحاولت أن أعرف سبب وضعي في هذا السجن العربي ، لكنني لم أجد جوابا حتى لدى المحقق! وقيل لي لاحقا، أن ذلك كان مجرد إجراء احترازي ، تم بناء على اقتراح أو نصيحة من أحد العملاء المزدوجين ، وهو ذلك الديب الذي كان سائقا وصار سفيرا .**

**والآن يا حمزة .. أين تقيم، أو إل أين تهرب؟**

**ها أنت تحاصرك الدوائر الحمراء وكأن الخط الأبيض الذي يقطعها وتريا يقول :**

**ممنوع مرور حمزة من هنا!**

**فقدت حق الإقامة وحق المرور لدى الأشقاء ، بعضهم يسمح لك بالإقامة وحدك دون أسرتك ، وبعضهم يقبل أسرتك دونك ، فأين تلم شملك وتنصب خيمتك .**

**طلبت الدخول إلى حي السلطة ، فقالوا رفض الحي الآخر طلبك بحجة أنك من (عربهم) هذا يعني أنهم يرحبون بعودتك إلى سجن الرملة، وحتى سجن الرملة لو فكرت في الهرب إليه لن يلم شملك فهو يرحب بك وحدك!**

**قف يا حمزة على المفترق بين إشارات المنع الحمراء واصرخ في الصحراء العربية : قولي يا أم لأبنائك البررة.. عار أن لا يتسع صدر الوطن العربي بمن فر إليه ليقاتل من أجله !**

**.. عار أن يغلق حت الربع الخالي في وجهه!**

**.. عار أن يدفع إلى التفكير في الهرب منه متسائلا وفي حلقه كل مرارة المرحلة : إلى أين هذه المرة ؟!**

**ولم أعرف إلى أين أهرب وأعترف أن هذا أقصى عقاب بالعالم الواسع المترامي الأطراف .**

**لم أستطع العثور على مأوى يجمعني مع أسرتي وكيف تمضي الأيام والشهور والسنين دون أن أستطيع أن ألتقي مع أسرتي زوجتي وأولادي وأنا مرحل من بلد إل آخر وليس لي ذنب ارتكبته غير أني اتهمت من الفدائيين المميزين وأشهر أسير فلسطيني في حينه والوحيد الذي يجرح مرتين ويهرب من سجون الاحتلال ثلاث مرات ، رغم أن هذا كان بالماضي ومضى مع سلبيات وإيجابيات الثورة المسلحة عندما كانت الثورة .**

**الآن توقف كل شيء يوجد معاهدات واتفاقيات سلام حتى هذا لا أرغب بالاقتراب منه كل الذي أرجوه أن يصبح لي عنوان وإقامة داخل دولة وبيت له جدران حتى جواز السفر لا أرغب به لقد مللت من السفر والترحال ، أريد الإقامة دون أن أدفع الثمن .**

**المطلوب من الفلسطيني لكي يحصل على إقامة أن يكتب بضع صفحات كل أسبوع أو شهر ويذكر ما شاهد وسمع وأعترف أن أمنهم ليس بحاجة إلى كتاباتي لأن عندهم الكثير وإنما بهدف إسقاط كل من استطاعوا إسقاطه كما يفعل جيراننا المحتلين ويعرضون على تناول القهوة معهم بين الحين والحين وهم يعلمون بأني أفضل القهوة بالبيت لأنني أستطيع أن أتناول دون عناء التنقل وكان هذا الجواب يغضبهم ويريدونني أن أذهب إلى البيت الشهير الذي يعرف سفارة فلسطين وكنت أعتقد أننا نعرف بعض وكثيرا ما جلسنا وتسامرنا مع بعض هذا كان أثناء الثورة وقبل السلطة وفرز الفلسطينيين بين الصالح والطالح ولم أكن أشغل نفسي بمعرفة الصالح من الطالح حتى اتضح أنهم يزينون بميزان الجيران الصالح من صلح وقبل من الطرف الآخر والذي يرفض منا حتى هذا يمكن أن أتقبله .**

**ولكن الذي لا أستطيع تقبله بعد أن سد بوجهي جميع النوافذ العربية طلبت العودة إلى قريتي داخل الخط الأخضر وجاء الجواب واضح أصدرت اللجنة الأمنية الإسرائيلية قرارا بمنعي من العودة وشطب اسمي من جميع السجلت المدنية ولذى تبع ذلك أصدرت المؤسسة الفلسطينية الإدارة والتنظيم بعد أسبوع قرارا ينص المذكور ليس له قيد وكان ذلك عام 1997 وفعلا شطب اسمي من جميع سجلات المؤسسات الفلسطينية : منظمة التحرير والصندوق القومي ومن المؤسسة العسكرية الفلسطينية وفي البداية اعتبرت أن الشطب ليس له تأثير بحكم أنني معروف لجميع المسؤولين الفلسطينيين وفيما بعد عرفت الفرق بين القرارالفلسطيني والإسرائيلي .**

**الإسرائيليون يقولون يبعد ولايسعد .**

**الفلسطينيون يقولون ( دجاجة حفرت على رأسها عفرت) ، إدفع فاتورة الماضي والذي كان بالأمس لا يصلح اليوم ،اليوم لنا سلطة ولها مواصفات بحاجة من يتلائم معها كي يقذفوا بالماضي إلى الخلف دون رجعة (انقذوا فتح تنقذوا فلسطين).**

**بهذا كنت عام 1991 برتبة مدير ،1993 عقيد، 1997 مقدم ،2000 رائد ، 2007 تقاعدت بنصف رائد .**

**حتى هذا كان أخف من الترحال ولم أستطع أن ألتقي مع أسرتي حتى قدمت إلى الجزائر عام 2000 وفعلا أن الكبير كبير وكما خلق الله البشر بأحاسيس وغرائز ، منه الكريم لا بد أن يكون شجاع وبخيل لا بد أن يكون جبانا ، وكما يوجد من البشر ناس خلقوا ليأخذوا وآخرين خلقوا ليعطوا ويضحوا والمناضل لا بد أن يكون ذو أخلاق وكرامة .**

**وكائن حال الجزائر يقول لم تأتي من قبل وتقيم مع أسرتك معززا مكرما رغم أني لم أملك الأوراق الثبوتية للحصول على إقامة وبعد عامين وأنا مقيم مع أسرتي التقيت بالمسؤول وقلت له لا أملك مستلزمات الإقامة فابتسم وقال على مهلك ، فقلت له أنا مخالف لقانون الاقامة وقد أمضيت سنتين وأنا مقيم دون حق الإقامة وأخشى أن أرحل وهو ما زال يبتسم وقال لي هل سمعت أن الجزائر رحلت فلسطيني أو عربي دون أن يرتكب جرم فظيع وأنت مناضل ونحن نجل المناضلين .**

**أعادتني كلم مناضل إلى سنين خلت وكثيرا ما كان يطربني بها "أبو عمار" و"أبو جهاد" عندما كان للفلسطينيين ثورة وكانوا ثوار .**

**كم أسعدني جواب المسؤول الجزائري وكم حز بنفسي عندما كنت أخاطب الفلسطينيين من اللجنة المركزية أو المجلس الثوري أو ما يطلق عليه بالمحكمة الحركية العليا لفتح ، أندم لمخاطبتهم بقدر ما أندم لعدم قدومي الجزائر منذ رحلت من السعودية سنة 1991 م .**

**الوثيقة رقم (1)**

**إلقاء القبض على قائد خلية مخربين كان ملاكما قي بيطار .**

**قائد خلية من الخلايا الجريئة والخطرة التي تم كشفها في البلاد ، كان ملاكما متميزا في إحدى فرق الملاكمة لنادي بيطار .**

**تبين من التحقيقات أنه من عرب إسرائيل ، وله عائلة في إحدى قرى عرب إسرائيل في شمال البلاد ، وأنه ترك البلاد قبل حرب الأيام الستة ، وتحول إلى قائد مهم في حركة فتح ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى وقت قريب عمل كمرشد ومدرب في قاعدة لحركة فتح حتى وصل إلى هذا المنصب المهم والمتقدم.**

**عن جريدة**

**يدعوت أحرنوت**

**25/10/1971**

**الوثيقة رقم (2)**

**ألقي القبض على خلية مخربين بقيادة ملاكم متميز في بيطار.**

**( كان في منتخب بيطار إسرائيل الذي شارك في بطولة الملاكمة في أثينا ، اعتقل سنة 1964 خلال عودته من قطاع غزة إلى البلاد كمبعوث للمخابرات المصرية ، ونجح في الهرب من سجن عسقلان وعاد إلى غزة حيث تجند مع حركة فتح .**

**هذا الملاكم هو حمزة يونس من أهالي قرية عارة في شمال البلاد ، وكانت قوات الأمن لاحظت تغيرا طرأ على سلوكه منذ عودته مع المنتخب من اليونان .**

**وتم حل هذا اللغز بعد عشرة شهور ، حيث تم إلقاء القبض عليه أثناء عودته من قطاع غزة إلى البلاد .**

**جريدة معاريف**

**25/10/1971**

**الوثيقة رقم (3)**

**سجناء عسقلان ساعدوا ثلاثة من المتسللين في الهرب من سجن عسقلان .**

**صفارات الإنذار انطلقت دون فائدة في مركز شرطة عسقلان!**

**لجنة تحقيق من ضباط شرطة القدس تتولى التحقيق في الحادث .**

**الجريدة**

**عن جريدة**

**يديعوت أحرنوت**

**20/04/1964**

**الوثيقة رقم (4)**

**المخربون الثلاثة الذين فروا من غرفة الحجر التابع لشرطة عسقلان وصلوا إلى غزة .**

**الإذاعة المصرية اعتبرت الفارين الثلاثة من أهالي غزة ، لكن تبين أنهم من عرب إسرائيل .**

**الملاكم فاجأ الرقيب بضربات مفاجئة أسقطته على الأرض مما مكن الثلاثة من الهرب .**

**الجريدة**

**عن جريدة هاآرتس**

**20/04/1964**

**الوثيقة رقم (5)**

**كلاب الأثر عادت إلى شرطة عسقلان بعد فشلها في القبض على المتسللين !**

**الجريدة**

**عن جريدة معاريف**

**18/04/1964**

**الوثائق 1، 2 و3**

**انتهي**